﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٤٨) ﴾

شرح الكلمات :

إليه يرد علم الساعة [١] : أي إلى الله يرد علم الساعة أى متى تقوم إذ لا يعلمها إلا هو.

وماتخرج من ثمرات من أكمامها: أى من أوعيتها واحد الإكمام كِمّ وكم الثوب مخرج اليد.

وماتحمل من أنثى : أي من أي جنس كان إنساناً أو حيواناً.

ولاتضع إلا بعلمه : أي ولاتضع حملها إلا ملابساً بعلم الله تعالى المحيط بكل شيء.

قالوا آذناك : أى أعلمناك الآن.

مامنا من شهيد : أي ليس منا من يشهد بان لك شريكاً أبداً.

وظنوا مالهم من محيص : أي أيقنوا انه مالهم من مهرب من العذاب.

معنى الآيتين :

يخبر تعالى ان علم الغيب قد انحصر فيه فليس لأحد من خلقه علم الغيب وخاصة علم الساعة أى علم قيامها متى تقوم؟ كما أخبر عن واسع علمه وانه محيط بكل الكائنات فما تخرج من ثمرة من كمها [٢] وعائها وتظهر منه إلا يعلمها على كثرة الثمار والأشجار ذات الأكمام، وماتحمل [٣] من انثى بجَنِين ولاتضعه يوم ولادته أو إسقاطه إلا يعلمه أي يتم ذلك بحسب علمه تعالى وإذنه، وهذه مظاهر الربوبية المستلزمة للألوهية فلا إله غيره ولا رب سواه، ومع هذا فالجاهلون يتخذون له شركاء أنداداً من أحجار وأوثان يعبدونها معه ظلماً وسفهاً. ويوم [٤] يناديهم وذلك فى يوم القيامة أين شركائي؟ أي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء لى، فيتبرءون منهم ويقولون: آذناك

---

(١) روي أن المشركين قالوا يامحمد إن كنت نبيا فخبرنا متى قيام الساعة فنزلت ﴿إليه يرد علم الساعة﴾ والرد الإرجاع.

(٢) الأكمام جمع كم بكسر الكاف وتشديد الميم والكُمة بضم الكاف والتأنيث مثله وهو الجف وكفرى الطلع يقال له كفه.

(٣) فهذه ثلاثة أمور وجب رد علمها إلى الله تعالى الأول علم ماتخرجه أكمام النخل من الثمر بقدره وجودته وثباته وسقوطه والثاني حمل الأنثى من الناس والحيوان والتي تلقح والتي لا تلقح، والثالث وقت وضع الأجنة فهذه وجب رد علمها إلى الله تعالى إذ لا يعلمها إلا هو كسائر الغيوب.

(٤) ويوم يناديهم: متعلق بمحذوف تقديره اذكر يوم يناديهم، لما سألوا عن الساعة أعلمهم أن امر علم وقتها مرده إلى الله وحده فناسب ذكر بعض أحداثها فذكر لهم ذلك.

أعلمنـاك الآن أنـه مامنـا من شهيد يشهد بأن لك شريكا إنه لا شريك لك وضل عنهم أي غاب عنهم ماكانوا يدعون من قبل فى الدنيا، وظنوا أيقنوا مالهم من محيص أي مهرب من عذاب الله.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - استئثار الله تعالى بِعِلْم الغيب وخاصة علم متى تقوم الساعة.

٢ - إحاطة علم الله تعالى بكل شىء فما تخرج من ثمرة من أوعيتها ولاتحمل من أُنثى ولاتضع حملها إلا بعلم الله تعالى وإذنه.

٣ - براءة المشركين يوم القيامة من شركهم، وغياب شركائهم عنهم.

لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

شرح الكلمات :

لايسأم الإنسان من دعاء الخير : أى لايمل ولايكل من سؤال طلب المال والصحة والعافية.

وإن مسه الشر فيئوس قنوط : أى المرض والفقر وغيرهما فيئوس من رحمة الله قنوط ظاهر عليه اليأس.

من بعد ضراء مسته : أي من بعد شدة أصابته وبلاء نزل به.

ليقولن هذا لى : أي استحققته بعملى ومما لى من مكانة.

وما أظن الساعة قائمة : أي ينكر البعث ويقول: ما أظن الساعة قائمة.

إن لى عنده للحسنى : أي وعلى فرض صحة ما قالت الرسل من البعث ان لى عند الله الجنة.

أعرض ونأى بجانبه	: أي أعرض عن الشكر ونأى بجانبه متبختراً مختالا فى مشيته .
فذو دعاء عريض	: أى فهو ذو دعاء لربه طويل عريض يارباه يارباه .

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن الإنسان الكافر[1] الذى لم تزك نفسه ولم تطهر روحه بالإيمان وصالح الأعمال انه لايسأم ولايمل من دعاء الخير[2] أى المال والولد والصحة والعافية فلا يشبع من ذلك بحال. ولئن مسه الشر من ضر وفقر ونحوهما فهو يئوس[3] قنوط يؤوس من الفرج وتبدل الحال من عسر إلى يسـر قنـوط ظاهر عليه آثار اليأس فى منطقة وفى حاله كله هذا ماتضمنته الآية الأولى (٤٩) ﴿لايسـأم[4] الإنسـان من دعـاء الخير وإن مسـه الشـر فيئـوس قنـوط﴾ وأما الآية (٥٠) فإن الله تعالى يخبر ايضا عن الإنسان الكافر إذا أذاقه الله رحمة منه من مال وصحة واجتماع شمل مثلا، وذلك من بعد ضراء مسته من مرض وفقر ونحوهم ليقولون لجهله وسفهه: هذا لى أى استحققته بمالى من جهد ومكانه وعلم وإذا ذكر بالساعة من أجل أن يرفق أو يتصدق يقول ما أظن الساعة قائمة كما تقولون وإن قامت على فرض صحة قولكم إن لى عنده أى عند الله للحسنى أى للحالة الحسنى من غنى وغيره[5] وجنة إن كانت كما تقولون.

وقوله تعالى ﴿فلننبئن الذين كفروا بما عملوا﴾ أي يوم القيامة عند عرضهم علينا، ولنذيقهم من عذاب غليظ يخلدون فيه لايخرجون منه أبداً.

وقـوله تعالى فى الآية الأخيرة (٥١) وإذا انعمنا على الإنسان بنعمة المال والولد والصحة أعرض عن ذكرنا وشكرنا وتخلى عن طاعتنا ونأى[6] بجانبه متباعداً متبختراً مختالا يكاد يضاهى الطاووس فى مشيته . وإذا سلبناه ذلك ومسه الشر من مرض وفقر وجهد وبلاء فهو ذو دعاء عريض لنا يارب يارب. هذا ليس الرجل الأول الذى ييأس ويقنط، ذاك كافر، وهذا مؤمن ضعيف الإيمان جاهل لا أدب عنده ولاخلق. وما أكثر هذا النوع من الرجال فى المسلمين اليوم والعياذ

---

(١) قيل المراد بالإنسان الكافر هنا الوليد بن المغيرة، وقيل عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف. والآية تحمل وصفاً للإنسان الكافر أيا كان والمراد من الدعاء الطلب والرغبة الملحة.

(٢) شاهده من السنة قوله ﷺ في الصحيح «لو أن لابن آدم واديين من ذهب لتمنى الثالث ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب».

(٣) اليأس كالقنوط من رحمة الله كفر بالمؤمن لقوله تعالى ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾.

(٤) اشتملت الآية على خلقين عجيبين الأول خلق البطر بالنعمة والغفلة عن الشكر لله تعالى والثاني اليأس والقنوط من رجوع النعمة بعد فقدها.

(٥) يروى عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم للكافر أمنيتان أما في الدنيا فيقول لئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسـنى، وأما في الآخرة فيقول ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين.

(٦) النأي البعد وهو كناية عن عدم التفكر في المنعم عليه ليشكره فعبر عن هذا بالبعد.

بالله تعالى فالأول عائد إلى ظلمة نفسه بالكفر، وهذا عائد الى سوء تربيته وسوء خلقه وظلمة جهله.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان حال الإنسان قبل الإيمان والاستقامة فإنه يكون أحط المخلوقات قدراً وأضعفها شأنا.

٢ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر بعض الأحداث فيها.

٣ ـ ذم اليأس والقنوط والكبر والاختيال، والكفر للنعم ونسيان المنعم وعدم شكره.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

شرح الكلمات :

قل أرأيتم إن كان من عند الله : أي أخبروني إن كان القرآن من عند الله كما قال النبي ﷺ.

ثم كفرتم به : أي ثم كفرتم به بعد العلم أنه من عند الله.

من أضل ممن هو فى شقاق بعيد : أي من يكون أضل منكم وأنتم فى شقاق بعيد؟ لا أحد.

فى الآفاق وفى أنفسهم : أي في أقطار السموات والأرض من المخلوقات وأسرار خلقها وفى أنفسهم من لطائف الصنعة وعجائب وبدائع الحكمة.

حتى يتبين لهم أنه الحق : أي أن القرآن كلام الله ووحيه إلى رسوله حقا، وأن الإسلام حق.

ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم : أي فى شك من البعث الآخر حيث يعرضون على الله تعالى.

الا إنه بكل شيء محيط : أى علماً وقدرة وعزة وسلطاناً.

معنى الآيات :

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للمكذبين بالوحي الإلهي الذي يمثله القرآن الكريم حيث قالوا فيه شعر وسحر وأساطير الأولين يأمره أن يقول لهم مستفهما لهم ارأيتم اي اخبرونى إن كان أى القرآن الذى كذبتم به من عند الله وكفرتم به أى كذبتم؟ من يكون أضل منكم وأنتم تعيشون فى

شقاق بعيد[1] اللهم لا أحد يكون أضل منكم عن طريق الهدى إذا فلم لاتثوبون إلى رشدكم وتؤمنون بآيات ربكم فتكملوا عليها وتسعدوا.

ثم قال تعالى: سنريهم[2] آياتنا الدالة على صدقنا وصدق رسولنا فيما أخبرناهم به ودعوناهم إليه من الإيمان والتوحيد والبعث والجزاء وذلك في[3] الآفاق أي من أقطار السموات والأرض مما ستكشف عنه الأيام من عجائب تدبير الله ولطائف صنعه، وفى انفسهم[4] أيضا أي فى ذواتهم حتى يتبين لهم أنه الحق، من ذلك فتح القرى والأمصار وانتصار الإسلام كما أخبر به القرآن، ووقعة بدر وفتح مكة من ذلك وما ظهر لِحَدّ الآن من كشوفات فى الآفاق وفى الأنفس مما أشار إليه القرآن ما هو أعجب من ذلك قوله تعالى: ﴿ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ فنظام الزوجية السارى فى كل جزئيات الكون شاهد قوى على صِدْقِ القرآن وأنه الحق من عند الله، وان الله حق وأن الساعة حق وقوله تعالى: ﴿أولم[5] يكف بربك أنه على كل شىء شهيد؟﴾ هذا توبيخ لهؤلاء المكذبين بإعلامهم أن شهادة الله كافية فى صدق محمد وماجاء به إن الله هو المخبر بذلك والآمر بالإيمان به فكيف يطالبون بالآيات على صدق القرآن ومن نزل عليه والله المرسل للرسول والمنزل للكتاب وقوله تعالى: ﴿ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم﴾ إعلام منه تعالى بما عليه القوم من الشك فى البعث والجزاء وهو الذى سبب لهم كثيراً من أنواع الشر والفساد. وقوله: ﴿ألا إنه[6] بكل شىء محيط﴾ علماً وقدرة وعزة وسلطاناً فما أخبر به عنهم من علمه وماسيجزيهم به من عذاب إن أصروا على كفرهم من قدرته وعزته. ألا فليتق الله امرؤ مصاب بالشك في البعث وكل الظواهر دالة على حتميته ووقوعه فى وقته المحدد له.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ التنديد بالكفر بالقرآن والتكذيب بما جاء فيه من الهدى والنور.

٢ ـ لا أضل ممن يكذب بالقرآن لأنه يعيش فى خلاف وشقاق لا أبعد منه.

٣ ـ صدق وعد الله تعالى حيث أرى المشركين وغيرهم آياته الدالة على وحدانيته وصحة دينه وصدق أخباره ما آمن عليه البشر الذين لايعدون كثرة.

(١) الشقاق العداء والمراد به العداء لله والرسول والمؤمنين الناجم عن ردهم القرآن وتكذيبهم بالوحي المثبت للنبوة المحمدية.

(٢) الآيات تشمل آيات القرآن والآيات الخارجة عن القرآن.

(٣) الآفاق جمع أفق الناحية من الأرض المتميزة عن غيرها والناحية من قبة السماء.

(٤) قال القرطبي «وفي أنفسهم» من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى سبيل الغائط والبول فإن الرجل يشرب ويأكل من مكان واحد ويتميز ذلك من مكانين، وبديع صنعة الله وحكمته في عينيه اللتين هما قطرة ماء ينظر بهما، وفي أذنيه وكيف يفرق بين الأصوات المختلفة إلى غير ذلك.

(٥) المعنى: تكفيك شهادة ربك بصدقك فلا تلتفت إلى تكذيبهم.

(٦) وصف الله بالمحيط هو كذلك محيط بعلمه وقدرته وقهره لكل خلقه.

٤ ـ مامن اكتشاف ظهر ويظهر إلا والقرآن أدخله فى هذه الآية سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم
٥ ـ الإشارة إلى أن الإسلام سيعلم صحته وسيدين به البشر أجمعون فى يوم ما من الأيام .
٦ ـ تقرير البعث والجزاء . ومظاهر قدرة الله تعالى المقررة له .

سُورَةُ الشُّورَىٰ

مكيـــة وآياتها ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

حم عسق[1] : هذه أحد الحروف المقطعة تكتب هكذا: حم عسق وتقرأ هكذا. حَامِيمْ عَيْنْ سِينْ قَافْ.

كذلك يوحى[2] إليك وإلى الذين من قبلك : أي مثل ذلك الإيحاء يوحى إليك وإلى الذين من قبلك. الذى يوحى إليك.

له مافى السموات ومافى الأرض : أي خلقا وملكا وتصرفا.

وهو العزيز الحكيم : أي العزيز فى انتقامه من أعدائه الحكيم فى تدبيره لأوليائه.

يتفطرن من فوقهن : أي يتشققن من عظمة الرحمن وجلاله.

والذين اتخذوا من دونه أولياء : أي آلهة يعبدونها.

---

(١) ان قيل لم ما وصلت حم عسق ببعضهما كما وصلت في آلمص، المر فالجواب ان عسق ثلاثة أحرف فلم توصل بـ حم بخلاف آلمص المر فإن الموصول حرف واحد وهو الصاد والراء.
(٢) العدول عن صيغة الماضي إلى المضارع إيذان بأن إيحاء الرسول متجدد لا ينقطع مدة حياة النبي ﷺ.

الله حفيظ عليهم : أي يحصي لهم اعمالهم ويجزيهم بها.
وما أنت عليهم بوكيل : أي ولست موكلا بحفظ أعمالهم وإنما عليك البلاغ.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿حم عسق﴾ الله أعلم بمراده به وقد تقدم التنبيه إلى أن هذا من المتشابه الذى يجب الإيمان به وتفويض أمر فهم معناه إلى منزله وهو الله سبحانه وتعالى وقد ذكرنا ان له فائدتين جليلتين تقدمتا فى كثير من فواتح السور المبدوءة بمثل هذه الحروف المقطعة فليرجع إليها.

وقوله ﴿كذلك يوحى[1] إليك﴾ أي مثل ذلك الإيحاء بأصول الدين الثلاثة وهى التوحيد والنبوة والبعث يوحى إليك بمعنى أوحى إليك وإلى الذين من قبلك من الرسل الله العزيز[2] فى انتقامه من اعدائه الحكيم في تدبيره لأوليائه وقوله ﴿له مافى السموات[3] ومافى الأرض﴾ أي خلقاً وملكاً وهو العلى أى ذو العلو المطلق على خلقه العظيم فى ذاته وشأنه وحكمه وتدبيره سبحانه لا إله إلا هو ولا رب سواه.

وقوله تعالى ﴿تكاد[4] السموات يتفطرن﴾ أي يتصدعن ويتشققن من فوقهن من عظمة الرب تبارك وتعالى والملائكة يسبحون[5] بحمد ربهم أى يصلون له ويستغفرون لمن فى الأرض أي يطلبون المغفرة للمؤمنين فهذا من العام الخاص بما فى صورة المؤمن إذ فيها ويستغفرون للذين آمنوا وقوله تعالى ﴿ألا إنّ الله هو الغفور الرحيم﴾ إخبار بعظيم صفاته عز وجل وهما المغفرة والرحمة يغفر لمن تاب من عباده ويرحم بالرحمة العامة سائر مخلوقاته فى هذه الحياة ويرحم بالرحمة الخاصة عباده الرحماء وسائر عباده المؤمنين فى دار السلام وقوله تعالى : ﴿والذين اتخذوا من[6] دونه أولياء﴾ أى شركاء آلهة يعبدونهم هؤلاء الله حفيظ عليهم فيحصي عليهم أعمالهم ويجزيهم بها يوم القيامة، وليس على الرسول من ذلك شيء إن عليه إلّا البلاغ وقد بلغ وهو معنى قوله : ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ تحفظ عليهم أعمالهم وتجزيهم بها وفى الآية تسلية للرسول وتخفيف عليه لأنه كان يشق عليه إعراض المشركين واصرارهم على الشرك بالله تعالى.

---

(١) المعنى الإجمالي لهذه الجملة هو كما في قوله ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ فهو تشبيه إيحاء بإيحاء.

(٢) العزيز الحكيم: وصفان لاسم الجلالة هما مقتضى الوحي الإلهي إذ الوحي يكون من عزيز لا يحال بين إرادته وحكيم يضع الأمور في مواضعها فلا يعاب عليه اختياره للوحي إليك.

(٣) هذه الجملة مقررة لما تقدم من جلال الله وكماله وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده ولقائه وبعثه رسوله.

(٤) قرأ نافع وحده يكاد بالياء وقرأ باقي القراء حفص وغيره بالتاء وسبب تفطرهن هو الخوف من عظمة الرب قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما «فرقا» أي خوفا.

(٥) أي ينزهونه عما لا يجوز وصفه به وعمّا لا يليق بجلاله، وقيل يتعجبون من جرأة المشركين فيسبحون.

(٦) لما أقام تعالى الحجج والبراهين على توحيده ونبوة رسوله فسبحت له الملائكة واستغفرت للمؤمنين الموحدين وبقي المشركين على اتخاذهم أولياء كأنما قال لرسوله لا يهمك أمرهم فإن الله يحصي أعمالهم ويحفظها لهم ويجزيهم بها.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ وحدة الوحي بين سائر الأنبياء إذ هي تدور على التوحيد والنبوة والبعث والجزاء والترغيب في العمل الصالح ، والترهيب من العمل الفاسد.

٢ ـ بيان عظمة الله تعالى وجلاله وكماله حتى إن السموات تكاد يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمده تعالى ويستغفرون للمؤمنين.[١]

٣ ـ تسلية الرسول ﷺ والتخفيف عنه بانه غير موكل بحفظ أعمال المشركين ومجازاتهم عليها انما هو الله تعالى ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾

شرح الكلمات :

وكذلك أوحينا إليك : أي ومثل ذلك الإيحاء إليك وإلى من قبلك أوحينا إليك.

قرآنا عربياً : أي بلسان عربي.

لتنذر أم القرى ومن حولها : أي علة الإيحاء هي إنذارك أهل أم القرى مكة ومن حولها من القرى أي تخوفهم عذاب الله إنْ بقوا على الشرك.

وتنذر يوم الجمع : أي وتنذر الناس من يوم القيامة إذ هو يوم يجمع الله فيه الخلائق.

لاريب فيه : أي لاشك في مجيئه وجمع الناس فيه.

---

(١) جائز أن يكون المستغفرين للمؤمنين حملة العرش وقد ورد هذا في السنة وان يكن غيرهم يستغفرون لمن في الأرض عندما يرون كفرهم وباطلهم وجرأتهم على ربهم يطلبون لهم عدم المؤاخذة إذ لو آخذهم بذنوبهم لأهلكهم.

فريق في الجنة : أي المؤمنون المتقون.
وفريق في السعير : أي الكافرون.
ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة : أي على دين الإسلام وبذلك يكون الجميع في الجنة.
ولكن يدخل من يشاء في رحمته : أي فى الإسلام أولا ثم في الجنة ثانياً.
والظالمون مالهم من ولي ولانصير : أي المشركون ليس لهم من ولي يتولاهم ولانصير ينصرهم فهم في النار.
أم اتخذوا من دون الله أولياء : أي بل اتخذوا من دونه تعالى شركاء أَلِهَوُهُم من دون الله.
فالله هو الولى : أي الولي الحق ومن عداه فلا تنفع ولايته ولاتضر.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا﴾[1] أي ومثل ذلك الإيحاء الذى أوحينا إليك وإلى الذين من قبلك أوحينا إليك قرآنا عربياً أي بلسان عربى يفهمه قومك لأنه بلسانهم لتنذر به أي تخوف أم القرى[2] ومن حولها من الناس عاقبة الشرك والكفر والظلم والفساد وتنذر أيضا الناس يوم الجمع وهو يوم القيامة فإنه يوم هول عظيم وشر مستطير ليتوقوه بالإيمان والتقوى. إنه يوم يكون فيه الناس والجن فريقين لاثالث لهما: فريق فى الجنة[3] بإيمانه وتقواه لله بفعل أوامره وترك نواهيه، وفريق في السعير بشركه وكفره بالله وعدم تقواه فلا امتثل أمراً ولا اجتنب نهياً.

وقوله تعالى : ﴿ولو شاء الله لجعلهم[4] أمة واحدة﴾ أي في الدنيا على دين الإسلام الذى هو دينَ آدم فنوح فإبراهيم فسائر الأنبياء موسى وعيسى ومحمد ﷺ. إذ هو عبارة عن الإيمان بالله وبما أمر الله بالإيمان به، والانقياد لله ظاهراً وباطنا بفعل محابّه تعالى وترك مكارهه ولو كانوا في الدنيا على ملة الإسلام لكانوا في الآخرة فريقا واحداً وهو فريق الجنة ولكن لم يشأ ذلك لحكم عالية فهو تعالى يدخل من يشاء فى رحمته فى الدنيا وهي الإسلام وفى الآخرة هي الجنة، والظالمون أي المشركون الذين رفضوا التوحيد والإسلام لله مالهم من ولي ولانصير فهم إذا فى عذاب السعير. وقوله تعالى : ﴿أم اتخذوا[5]﴾ أى الظالمون من دون الله أولياء من دون الله ليشفعوا

---

(١) القرآن مصدر نحو غفران واطلق على المقروء مبالغة في الاتصاف بالمقروئية لكثرة ما يقرأه القارئون لحسنه وفوائده وعظيم مثوبته.

(٢) كنيت مكة بام القرى لأنها أقدم المدن العربية وقيل لأن الأرض دحيت من تحتها.

(٣) جملة فريق الخ ابتدائية لأنها جواب لمن سأل عن حال الناس وهم مجتمعون في عرصات القيامة فأجيب بأنهم فريقان فريق في الجنة وفريق في السعير.

(٤) سبق هذا الكلام مستأنفاً استئنافاً ابتدائيا لغرض تسلية الرسول ﷺ والمؤمنين لما ينالهم من هم وكرب من عدم إيمان من يدعونهم إلى الإيمان ولم يؤمنوا.

(٥) أم للإضراب الانتقالي والاستفهام إنكاري ينكر على المشركين اتخاذهم أولياء من دون الله لا تنفعهم أي نفع ويتركون الله الولي الحميد فهو أحق بأن يتخذ وليا في الدنيا والآخرة.

لهم جهلا منهم بأنه لايشفع أحد إلا بإذن الله ورضاه فعلوا ذلك وماكان لهم ذلك لأن الولي الحق هو الله فلم لايتخذونه وليا، وهو الولي الحميد وهو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير فمن أحق بأن يُتولىّ من يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير أم من لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع، والجواب معلوم، ولا يهلك على الله إلا هالك.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير النبوة المحمدية بإثبات الوحى الإلهى.
٢ ـ شرف مكة بتسميتها أم القرى أى أم المدن والحواضر.
٣ ـ مشروعية التعليل للأفعال والأحكام.
٤ ـ إنقسام الناس يوم القيامة إلى سعيد وشقي لاغير.
٥ ـ لم يشأ الله ان يجعل الناس أمة واحدة لحكم عالية علمها إليه سبحانه وتعالى.
٦ ـ من طلب ولاية غير الله هلك؟ ومن والى الله دون من سواه كفاه الله ما أهمه في دنياه وأخراه.

وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

وما اختلفتم فيه من شىء : أي من أمور الدين والدنيا مع الكفار أو مع المؤمنين.

فحكمه إلى الله : هو الذي يقضي فيه في الدنيا بما ينزل من وحى على رسوله وفى الآخرة إذ الحكم له دون غيره.

ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه : أي قل لهم يارسولنا ذلكم الحاكم العدل العظيم الله ربي عليه

أنيب	توكلت أي فوضت أمرى إليه، وإليه لا إلى غيره أرجع فى أمورى كلها.
فاطر السموات والأرض	: أي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سابق.
جعل لكم من أنفسكم ازواجا	أي بأن جعلكم ذكراً وأنثى، ومن الأنعام كذلك.
يذرؤكم فيه	: أي يخلقكم فى هذا التدبير وهو من الذكر والانثى يخرجكم.
ليس كمثله شيء	: أي ليس مثل الله شيء إذ هو الخالق لكل شيء فلايكون مخلوق مثله بحال من الأحوال.
وهو السميع البصير	: أي السميع لأقوال عباده العليم بأعمالهم وأحوالهم.

معنى الآيات :

يقول تعالى وما اختلفتم[1] فيه من شيء من أمور الدين والدنيا أيها الناس فحكمه إلى الله تعالى هو الذي يحكم فيه بالعدل فردوه إليه سبحانه وتعالى فإنه يقضي بينكم بالحق. وهنا أمر رسوله أن يقول للمشركين ذلكم المذكور بصفات الجلال والكمال الحكم العدل الذى يقضى ولايقضى عليه الله ربي الذى ليس لى رب سواه عليه توكلت ففوضت أمرى إليه واثقاً فى كفايته وإليه وحده أنيب أى أرجع فى أمورى كلها، ثم واصل ذكر صفاته الفعلية فقال فاطر السموات والأرض أى خالق السموات السبع والأرض مبدعهما من غير مثال سابق ﴿جعل لكم من أنفسكم[2] أزواجاً﴾ إذ خلق حواء من ضلع آدم ثم جعلكم تتناسلون من ذكر وانثى ومن الأنعام ازواجاً أيضا وهما الذكر والأنثى وقوله ﴿يذروكم فيه﴾ أي[3] يخلقكم فيه أي في هذا النظام نظام الذكر والأنثى كأن الذكورة والأنوثة معمل من المعامل يتم فيه خلق الإنسان والحيوان فسبحان الخلاق العليم.

وقوله : ﴿ليس[4] كمثله شيء وهو السميع البصير[5]﴾ هذا تعريف عرف تعالى به نفسه ليعرف بين عباده وهو أنه عز وجل ليس مثله شيء أي فلا شيء مثله فعرف بالتفرد بالوحدانية فالذى ليس له

---

(١) قول القرطبي هذا حكاية قول رسول الله ﷺ للمؤمنين ماهُوَ بظاهر، بل هو إرشاد الله لرسوله والمؤمنين أن يقولوا لمن خالفهم من المشركين وأهل الكتاب إنَّ الله قد حكم بصحة الإسلام فهو الدين الذي يجب أن يدين به الإنسان لربه عز وجل لا غيره من الأديان الباطلة.

(٢) الجملة في موضع نصب على الحال من ضمير فاطر.

(٣) الذرء: بث الخلق وتكثيره والمضارع يذرؤكم لإفادة الحدوث والتجدد المستمرين.

(٤) ومعنى ليس كمثله شيء: ليس مثله شيء فالكاف مقحمة لا غير، ولما كانت للتشبيه ومثله كذلك فهي إذاً لتأكيد نفي الشبيه لله تعالى.

(٥) لما كانت جملة ليس كمثله شيء صفة سلبية أعقب عليها بصفات ايجابية وهي كونه تعالى سميعاً بصيراً، وهكذا الحكم في صفات الله تعالى فيثبت له ما أثبته هو لنفسه وأثبته له رسوله من الصفات العلى وينفى عنه من صفات النقص كالمثلية والتشبيه ما نفاه تعالى هو عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ.

مثل ولا مثله شيء هو الله ذو الأسماء الحسنى والصفات العليا وهو السميع لكل الأصوات العليم بكل الكائنات.

وقوله تعالى: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾[1] أي له مفاتيح خزائن السموات والأرض، وله مغاليقها فهو تعالى يبسط الرزق لمن يشاء امتحاناً ويضيق ابتلاء، لأنه بكل شيء عليم فلا يطلب الرزق إلاّ منه، ولايلجأ فيه إلا إليه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب ردّ مااختلف فيه إلى الله تعالى ليحكم[2] فيه وهو الرد إلي الكتاب والسنة.

٢ ـ وجوب التوكل عليه والإنابة إليه فى كل الأمور.

٣ ـ تنزيه الله تعالى عن مشابهته لخلقه مع وجوب الإيمان باسمائه الحسنى وصفاته العليا.

٤ ـ وجوب الإيمان بأن الله هو الرزاق بيده مفاتح خزائن الأرزاق فمن شاء وسع عليه، ومن شاء ضيق، وأنه يوسع لحكمه ويضيق لأخرى.

۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾

---

(١) المقاليد جمع إقليد أو مقلاد على غير قياس وهو المفتاح، والمقاليد للخزائن وهي ما أودع الله تعالى من أرزاق السموات والأرض لعباده، فلذا هو يبسط الرزق ويقدر حسب علمه وحكمته.

(٢) شاهده قوله تعالى: ﴿وان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ «الآية من سورة النساء».

شرح الكلمات :

ماوصى به نوحاً والذى أوحينا إليك : أي شرع لكم من الدين الذى وصى به نوحا والذى أوحينا به إليك .

وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى : أي والذى وصينا باقى أولى العزم وهم إبراهيم وموسى وعيسى وهو أن يعبدوا الله وحده بما شرع من العبادات .

أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه : أي بأن اقيموا الدين الذى شرع لكم ولاتضيعوه ولا تختلفوا فيه .

كبر على المشركين ماتدعوهم إليه : أي عظم على كفار قريش ماتدعوهم إليه وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله .

الله يجتبي إليه من يشاء : أي يختار الى الإيمان به والعمل بطاعته من يريده لذلك .

ويهدى إليه من ينيب : أي ويوفق لطاعته من ينيب اليه في أموره ويرجع إليه في جميع شأنه، بخلاف المعرضين المستكبرين .

بغيا بينهم : أي حملهم البغي على التفرق في دين الله .

ولولا كلمة سبقت من ربك : أي ولولا ماقضى الله به من تأخير العذاب على هذه الأمة إلى يوم القيامة .

لقضى بينهم : أي لحكم الله بينهم فأهلك الكافرين وأنجى المؤمنين .

وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم : أي وان الـذين أورثـوا الكتـاب من بعد الأولين وهم اليهود والنصارى ومشركو العرب .

لفى شك منه مريب : أي لفى شك مما جئتهم به من الدين الحق وهو الإسلام .

معنى الآيات :

يخاطب تعالى رسوله والمؤمنين فيقول وقوله الحق: ﴿شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا﴾[1] إذ هو أول حامل شريعة من الرسل والذى أوحينا إليك يامحمد وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾ من أولى العزم من الرسل ﴿أن أقيموا الدين﴾[2] وهو دين واحد قائم على الإيمان والتوحيد والطاعة لله في أمره ونهيه وإقامة ذلك بعدم التفريط فيه أو في شيء منه، وعدم التفرق فيه، لأن التفرق فيه بسبب تضيعه كلا أو بعضاً.

---

(١) المراد مما شرع لنا هو الإيمان به تعالى رباً وإلهاً وعبادته وحده وترك عبادة ما سواه، أما الأحكام فتختلف بحسب الأمم والأزمان فهذه الآية هي كقوله تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾.

(٢) ان أقيموا الدين في محل رفع خبر. أي هو إقامة الدين وعدم التفرق فيه أي الموصى به هو إقامة الدين، وإقامته جعله قائما تعتقد عقائده وتؤدى عبادته وتقام أحكامه لا يسقط منه شيء.

وقوله تعالى : ﴿كبر على المشركين من كفار قريش ماتدعوهم إليه﴾[1] أي عظم عليهم ولم يطيقوا حمله ماتدعوهم إليه من عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الأصنام، إذاً فادعهم واصبر على اذاهم والله يجتبى اليه أي يختار للإيمان به وعبادته من يشاء ممن لايصرون على الباطل، ولايستكبرون عن الحق إذا عرفوه، ويهدى إليه أي ويوفق لطاعته مَنْ مِنْ شأنه الإنابة والرجوع إلى ربّه فى أموره كلها.

وقوله تعالى : ﴿وماتفرقوا﴾[2] أى وماتفرق العرب واليهود والنصارى في دين الله فآمن بعض وكفر بعض الأمن بعد ما جاءهم العلم الصحيح يحمله القرآن الكريم ونبيّه محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. والحامل لهم على ذلك هو البغي والحسد. وقوله ولولا كلمة سبقت من ربك وهو عدم معالجة هذه الأمة المحمدية بعذاب الإبادة والاستئصال، وترك عذابهم إلى يوم القيامة لولا هذا لعجل لهم العذاب من أجل اختلافهم فأهلك الكافرين وأنجى المؤمنين. وهو معنى قوله تعالى ﴿ولولا كلمة سبقت[3] من ربك إلى أجل مسمي لقضي بينهم﴾ أي فرغ منهم بالفصل بينهم بإهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين.

وقوله تعالى : ﴿وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم﴾[4] أي من بعد اليهود والنصارى وهم العرب إذْ أنزل الله فيهم كتابه القرآن الكريم لفى شك منه أي من القرآن والنبى والدين الإسلامي مريب أي بالغ الغاية في الريبة والاضطراب النفسى، كما ان اللفظ يشمل اليهود والنصارى إذ هم أيضا ورثوا الكتابين عمن سبقهم وأنهم فعلا في شك من القرآن ونبيّه والإسلام وشرائعه.

هداية الأيات :

من هداية الآيات :

١ ـ دين الله واحد وهو الإيمان والاستقامة على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

٢ ـ حرمة الاختلاف فى دين الله المسبب تضييع الدين كلا أو بعضا.

٣ ـ مرد التفرق فى الدين إلى الحسد والبغى بين الناس، فلو لم يحسد بعضهم بعضا ولم يبغ بعضهم على بعض لما تفرقوا فى دين الله ولأقاموه متجمعين فيه.

(١) قال قتادة كبر على المشركين فاشتد عليهم شهادة ان لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وضاق بها إبليس وجنوده فأبى الله عز وجل إلا أن ينصرها ويعليها ويظهرها على من ناواها.

(٢) قال ابن عباس يعني قريشاً وهو صحيح إذ كانوا يقولون : لو أن عندنا ذكراً من الأولين لكنا عباد الله المخلصين. وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم إلا أن دخول أهل الكتاب في هذا الخطاب وارد وله شواهد. إذ الآية مبينة لسنة من سنن الله تعالى وهي كونُ الأمة متحدة على الباطل فإذا جاءها الحق قبله أناس ورفضه آخرون فيكون التفرق.

(٣) أي في تأخير العذاب على مستحقيه إلى الموعد الذي حدده لهم في الدنيا أو في الآخرة لكان عز وجل حكم بينهم فأهلك الكافرين وأنجى المؤمنين.

(٤) ال في الكتاب للجنس ليشمل التوراة والإنجيل معاً.

فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

فلذلك فادع : أي فالى ذلك الدين الذى شرع الله لكم ووصى به نوحاً وأوحاه إليك يامحمد فادع عباد الله .

واستقم كما أمرت : أي استقم على العمل به ولاتزغ عنه واثبت عليه كما أمرك الله .

ولاتتبع اهواءهم : أي ولاتتبع أهواء المشركين وأهل الكتاب فتترك الحنيفية التى بعثت بها فإنها الحق.

وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب : أي ولست كالذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض.

وأمرت لأعدل بينكم : أي أمرنى ربي أن أحكم بينكم بالعدل الذى هو خلاف الجور.

الله ربنا وربكم : أي خالقنا وخالقكم ورازقنا ورازقكم وإلهنا وإلهكم .

لنا أعمالنا ولكم أعمالكم : وسيجزى كل منا بعمله خيراً كان أو شراً .

لاحجة بيننا وبينكم : أي ماهناك حاجة إلى المحاجة الآن بعد ظهور الحق.

الله يجمع بيننا : أي يوم القيامة .

والذين يحاجون فى الله : أي يجادلون فى دين الله نبيه محمداً ﷺ .

من بعد ماأستجيب له : أي بالإيمان لظهور معجزته وهم اليهود .

حجتهم داحضه : أي باطله عند ربهم.

وعليهم غضب : أي من الله ولهم عذاب شديد يوم القيامة.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿فلذلك فادع﴾[1] أى فإلى ذلك الدين الحق الذى هو الإسلام الذى شرعه الله لكم ووصى به نوحا وأوحاه اليك فادع جميع الناس عربهم وعجمهم فإنه دين الله الذى لايقبل دينا سواه، ولايكمل الإنسان في أخلاقه ومعارفه وأدابــه ولا يسعد فى الدارين إلا عليه واستقم[2] عليه[3] كما أمرك ربك، فلا تزغ عنه ولاتعدل به غيره فإنه الصراط المستقيم الذى لايزيغ عنه الا هالك ولاتتبع أهواء المشركين ولا أهواء أهل الكتاب. وقل فى صراحة ووضوح آمنت بما أنزل الله من كتاب فلا أومن ببعض وأكفر ببعض كما أنتم عليه معشر اليهود والنصارى، وقل لهم أمرنى ربى أن أعدل[4] بينكم فى الحكم إذا تحاكمتم إليّ، كما أنى لاأفرق بينكم إذ أعتبركم على الكفر سواء فكل من لم يكن على الإسلام الذى كان عليه نوح وإبراهيم وموسى وعيسى والذى عليه انا واصحابى اليوم فهو كافر من أهل النار.

وقوله تعالى ﴿الله ربنا وربكم﴾ أى أمرنى أن أقول لكم هذا الله ربنا وربكم إذْ لا رب سواه فهـو رب كل شيء ومليكـه، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم[5] وسَيُجْزى كل منا بعمله السيئة بمثلها والحسنة بعشر أمثالها، إلا أن الكافر لاتكون له حسنة مادام قد كفر بأصل الدين فلم يؤمن بالله ولقائه، ولابوحيه ولا برسوله وقوله﴿لاحجة بيننا وبينكم﴾ أي اليوم إذ ظهر الحق ولاح الصبح لذي عينين فلا داعى إلى الجدال والخصومة معكم يا أهل الكتابين من يهود ونصارى الله يجمع بيننا يوم القيامة إذ المصير فى النهاية إليه لا إلى غيره وسوف يحكم بيننا فيما اختلفنا فيه فيقضى لأهل الحق بالنجاة من النار ودخول الجنة ويقضى لأهل الباطل بالنار والخلود فيها.

وقوله تعالى : ﴿والذين يحاجون فى[6] الله﴾ أي في دين الله النبى والمؤمنين يريدون أن يردوهم

---

(١) قال القرطبي اللام هنا بمعنى إلى وله نظائر مثل بأن ربك أوحى لها أي إليها وأولى أن تكون اللام للتعليل أي لأجل ما ذكر من الأمر بإقامة الدين وعدم التفرق فيه فادع.

(٢) الاستقامة الاعتدال والسين والتاء فيها للمبالغة مثل أجاب استجاب والمراد هنا الاستقامة المعنوية وهي ملازمة الآداب الرفيعة والأخلاق الفاضلة والتمسك بأهداب الشريعة.

(٣) كما أمرت هذه الكاف كالتي في قوله تعالى واذكروه كما هداكم اعطيت معنى التقليل مثل كما صليت على ابراهيم وما في التفسير أولى من هذا فإن المراد على نحو ما أمرك لا تخالفه.

(٤) هذا من الغيب الذي أخبر به القرآن قبل وقوعه فكان كما أخبر فقد نصر الله رسوله وحكم اليهود وعدل بينهم وذلك في المدينة وخيبر تيماء والآية نزلت بمكة.

(٥) هذه صور من صور الإنصاف والعدل.

(٦) قال مجاهد في قوله تعالى والذين يحاجون في الله الآية قال هؤلاء رجال طمعوا أن تعود الجاهلية بعد ما دخل الناس في الإسلام. وقيل إنهم اليهود والنصارى والكل جائز ويقع وواقع وما في التفسير أوضح وأصح.

إلى باطلهم من بعد ما استجيب للرسول ودخل الناس في دين الله أفواجاً، هؤلاء حجتهم داحضة عند ربهم أى باطلة، وعليهم غضب اي من ربهم ولهم عذاب شديد فى الدنيا والآخرة هذه الآية نزلت فى يهود بالمدينة نصبوا انفسهم خصوما لأصحاب رسول الله يجادلونهم يريدون تشكيكهم فى الإسلام والعودة بهم إلى وثنية الجاهلية وكان هذا قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة فرد تعالى عليهم وأسكتهم بهذه الآية متوعداً إياهم بالغضب والعذاب الشديد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ وجوب الدعوة إلى الإسلام بين أمم العالم إذ لانجاة للبشرية إلا بالإسلام.

٢ ـ حرمة اتباع أهواء أهل الأهواء والسير[1] معهم وموافقتهم فى باطلهم.

٣ ـ وجوب الاستقامة على الإسلام عقائد وعبادات وأحكام قضائية وآداب وأخلاق.

٤ ـ تعين ترك الحجاج والمخاصمة مع أهل الكتاب وكذا اهل الأهواء والبدع لأنا على الحق وهم على الباطل، فكيف نحاجهم إذ الواجب أن يسلموا وكفى.

ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ

(١) الأهواء جمع هوى وهو الحب وغلب على حب مالا نفع فيه إذ هو نابع عن ميل نفساني مناف للخير والعدل ويغلب اطلاق لفظ العشق عليه.

مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾

شرح الكلمات :

الله الذى أنزل الكتاب الحق : أي أنزل القرآن متلبساً بالحق والصدق لايفارقه أبداً.

والميزان : أي وأنزل الميزان وهو العدل ليحق الحق.

ومايدريك لعل الساعة قريب : أي أيُّ شيء يجعلك تدرى قرب الساعة إلا أن يكون الوحى الإلهى.

يستعجل بها الذين لايؤمنون: أي يطالب المكذبون بها لأنهم لايخافون مافيها لعدم إيمانهم به.

والذين آمنوا مشفقون منها : أي خائفون وذلك لإيمانهم فهم لايدرون مايكون لهم فيها من سعادة أو شقاء ولذا هم مشفقون.

ويعلمون أنها الحق : أي ان الساعة حق واجبة الإتيان لا محالة.

إن الذين يمارون فى الساعة : أي إن الذين يجادلون فى الساعة شاكين فى وقوعها.

الله لطيف بعباده : أي برهم وفاجرهم بدليل أنهم يعصونه وهو يرزقهم ولا يعاقبهم.

من كان يريد حرث الآخرة : أي من كان يريد بعمله ثواب الآخرة.

نزد له فى حرثه : أي نضاعف له ثوابه الحسنة بعشر أمثالها وأكثر.

ومن كان يريد حرث الدنيا : أي من كان يريد بعمله متاع الحياة الدنيا من طيباتها.

تؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب: أي نعطه منها ماقدر له وليس له فى الآخرة من حظ ولا نصيب.

أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين: أي بل لهم شركاء من الشياطين شرعوا لهم من الدين.

مالم يأذن به الله : أي مالم يشرعه الله تعالى وهو الشرك.

ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم: أي ولولا كلمة الفصل التى حكم الله بها بتأخير العذاب إلى يوم القيامة لأهلكهم اليوم على شركهم وأنجى المؤمنين.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿الله الذى أنزل الكتاب[1] بالحق والميزان﴾ يخبر تعالى رسوله والمؤمنين بأنه هو

---

(١) جائز أن يكون الكتاب اسم جنس يشمل الكتب الإلهية إذ الله تعالى هو منزلها وجائز ان يكون المراد به القرآن. وال فيه للتفخيم من شأنه كأنه الكتاب الفذ في بابه.

الذى أنزل الكتاب أى القرآن بالحق والصدق وأنزل الميزان[١] وذلك من أجل احقاق الحق فى الأرض وإبطال الباطل فيها، فلا يعبد إلا الله ولايحكم إلا شرع الله وفى ذلك كمال الإنسانية وسعادتها، وقوله تعالى : ﴿ومايدريك[٢] لعل الساعة قريب﴾ أي أي شيء جعلك تدري قرب الساعة إنّه الوحى الإلهى لاغير﴿وقوله يستعجل بها الذين لايؤمنون بها﴾ أي الذين لايؤمنون بالبعث الآخر والجزاء فيه هم الذين يطالبون بإتيانها في غير وقتها ويستعجلون الرسول بها بقولهم متى الساعة؟ أما المؤمنون بالبعث والجزاء فإنهم مشفقون أى خائفون من وقوعها لأنهم لايدرون مصيرهم فيها ولا يعلمون ماهم صائرون اليه من سعادة أو شقاء وقوله﴿ ويعلمون أنها الحق ﴾ اى والمؤمنـون يعلمون أن الساعة حق واجبة الوقوع ليحكم الله فيها بين عباده ويجزى كل واحد بعمله، ويقتصُّ فيها من المظلوم للظالم فلذا هي واقعة حتما لاتتخلف ابداً.

وقوله تعالى : ﴿ألا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد﴾ يخبر تعالى مؤكداً الخبر بأن الـذين يشككون فى الساعة ويجادلون فى صحة وقوعها فى ضلال عن الهدى والصواب والرشد، بعيد لايرجى لهم معه العودة إلى الصواب والهدى فى هذه المسألة من مسائل العقيدة. وقوله تعالى﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز﴾يخبر تعالى بأنه ذو لطف بعباده مؤمنهم وكـافرهم برهم وفاجرهم يكفر به الكافرون ويعصيه العاصون وهو يطعمهم ويسقيهم ويعفو عنهم ولا يهلكهم بذنوبهم فهذا من دلائل لطفه بهم. يرزق من يشاء أي يوسع الرزق على من يشاء ويقدر على من يشاء حسب ماتقضيه تربيتهم فلا يدل الغنى على الرضاء ولا الفقر على السخط. وهو تعالى القوى القادر الذى لايعجزه شيء العزيز فى انتقامه ممن أراد الانتقام منه وقوله تعالى : ﴿من كان يريد حرث[٣] الآخرة نزد له فى حرثه﴾، وهذا من مظاهر لطفه بعباده وهو أن من أراد منهم بعمله ثواب الآخرة وما أُعد الله فيها للمؤمنين المتقين نزدله فى حرثه أي يضاعف له أجر عمله الحسنة بعشر الى سبعمائة ويضاعف لمن يشاء ومن كان يريد بعمله حرث الدنيا أى متاع الحياة الدنيا يؤته على قدر عمله للدنيا وهو ماقدره له أزلاً وجعله مقدوراً له لابد نائله، وماله فى الآخرة من نصيب لأنه لم يعمل لها فلاحظ ولا نصيب له فيها إلا النار وبئس القرار.

وقوله تعالى فى الآية (٢١) ﴿أم لهم[٤] شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله﴾ يقول

---

(١) هل المراد من الميزان العدل أو هو الآلة التي يوزن بها والظاهر انه الآلة التي يوزن بها إذ بها يتم العدل ولقوله تعالى. . ﴿وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ وإنزاله إلهام وضعه والعمل به .

(٢) ما استفهامية أي من جعلك تدري قرب الساعة. قال ابن عباس ما قال تعالى فيه وما أدراك فقد أدراه، وما قال فيه وما يدريك فإنه لم يدره به.

(٣) المراد بالحرث العمل والكسب قال الشاعر:

كلانا إذا ما نال شيئا أفاته ومن يحترث حرثى وحرثك يهزل

بهذه الآية رد على من زعم ان المرء لو دخل ماء للتبرد فيه أن له أن يصلي به لأن الآية نص في إرادة العمل والثواب بحسب الإرادة التي هي النية.

(٤) ام للإضراب الانتقالي والاستفهام للتقريع والتوبيخ.

أللمشركين من كفار قريش شركاء من الشياطين شرعوا لهم دينا وهو الشرك لم يأذن به الله،وهذا إنكار عليهم، واعلان غضب شديد من أجل شركهم الذى زينته لهم الشياطين فصرفتهم عن الدين الحق إلى الدين الباطل، ولذا قال: ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم أى ولولا أنه تعالى قضى بأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة لعذبهم فى الدنيا وأهلكهم فيها قبل الآخرة، وذلك لاتخاذهم ديناً لم يشرعه لهم. وقوله تعالى وإن الظالمين أي المشركين لهم عذاب أليم أي موجع وذلك يوم القيامة وهذا وعيد للمشركين الذين اتخذوا الجاهلية والشرك وعبادة الأوثان دينا وأعرضوا عن دين الله الذى أوصى به نوحا وأوحاه الى محمد خاتم رسله، كما أوصي به ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان بعض الحكمة فى إنزال الكتاب أى القرآن والميزان وهو أن يحكم الناس بالقسط.

٢ ـ بيان قرب الساعة وأن معرفة قربها كان بالوحى الإلهى مثل اقترب للناس حسابهم.

٣ ـ المستعجلون بالساعة هم الكافرون الجاحدون لها.

٤ ـ بيان لطف الله بعباده فله الحمد وله المنة والشكر.

٥ ـ بيان وجوب إصلاح النيات فإن مدار العمل قبولاً ورفضا بحسبها.

٦ ـ حظر التشريع بجميع أنواعه عن غير الله ورسوله.

تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ

كَذِبًاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا : أي ترى أيها المرء الظالمين يوم القيامة خائفين من جزاء ماعملوا.

وهو واقع بهم : أي وهو أي جزاء ما كسبوا من الباطل والشرك نازل بهم معذبون به لامحالة.

والذين آمنوا وعملوا الصلحات : آمنوا بالله ولقائه وآياته ورسوله وأدوا الفرائض واجتنبوا المحارم.

فى روضات الجنات : أي هم في روضات الجنات، والروضة فى الجنة أنزه مكان فيها.

لهم مايشاءون عند ربهم : أي لهم فيها ماتشتهيه أنفسهم وتلذه أعينهم فى جوار ربهم.

قل لاأسألكم عليه أجراً : أي قل يارسولنا لقومك لا أسألكم على التبيلغ أجراً أي ثواباً.

إلا المودة فى القربى : أي لكن أسألكم أن تودوا قرابتي فتمنعوني حتى أبلغ رسالتى.

ومن يقترف حسنة : أي ومن يكتسب حسنة بقول أو عمل صالح.

نزد له فيها حسنا : أي نضاعفها له أضعافا.

أم يقولون افترى على الله كذبا : أي أيقول هؤلاء المشركون إن محمداً افترى على الله كذباً فنسب إليه القرآن وهو ليس بكلامه ولابوحيه.

فان يشاء الله يختم على قلبك : أي إن يشإ الله تعالى يطبع على قلبك وينسيك القرآن أي ان الله قادر على أن يمنعك من الافتراء عليه كما زعم المشركون.

ويمحو الله الباطل ويحق الحق : أي إن من شأن الله تعالى أنه يمحو الباطل.

بكلماته : أي بالآيات القرآنية وقد محا الباطل وأحق الحق بالقرآن.

وهو الذى يقبل التوبة عن عباده : أي هو تعالى الذي يقبل توبة التائبين من عباده.

ويعفو عن السيئات : أي لايؤاخذ بها من تاب منها فهذا هو الإله الحق لا الأصنام التى ليس لها شيء مما هو لله ألبتة.

ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات : أي ويجيب تعالى عباده الذين آمنوا به وعملوا الصالحات إلى ما دعوه فيه فيعطيهم سؤلهم.

ويزيدهم من فضله : أي يعطيهم ما سألوا ويعطهم مالم يسألوه من الخير.

والكافرون لهم عذاب شديد : أي والكافرون بالله ورسوله ولقاء الله وآياته لهم عذاب شديد.

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله ترى الظالمين[1] يوم القيامة مشفقين أى خائفين مما كسبوا أي من جزاء ما كسبوا من الشرك والمعاصى ،وهو أى العذاب واقع بهم نازل عليهم لامحالة وقوله ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم مايشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ﴾ أى فى الوقت الذي يكون فيه الظالمون مشفقين مما كسبوا يكون الذين آمنوا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا وعملوا الصالحات من الفرائض والنوافل بعد اجتناب الشرك والكبائر فى روضات الجنات وهى أنزهها وأحسنها لهم مايشاءون من النعيم مما تشتهيه الأنفس وتلذه الأعين كل ذلك فى جوار رب كريم وقوله تعالى ﴿ ذلك هو الفضل الكبير[2] ﴾ أى ذاك الذى أخبر تعالى به أنهم فيه من روضات الجنات وغيره هو الفضل الكبير الذى تفضل الله تعالى عليهم به.

وقوله فى الآية الثانية (٢٣) ﴿ذلك الذى يبشر الله به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي ذلك المذكور من روضات الجنات وغيره هو الذي يبشر الله تعالى به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى كتابه وعلى لسان رسوله.

وقوله تعالى : ﴿قل لاأسألكم[3] عليه أجراً إلا المودة فى القربى﴾ يأمر تعالى رسوله أن يقول لقومه من المشركين لا أسألكم على إبلاغى إياكم دعوة ربى الى الإيمان به وتوحيده لتكملوا وتسعدوا أجراً أى مالاً لكن أسألكم أن تودوا قرابتى منكم فلا تؤذوني وتمنعوني من الناس حتى

---

(١) هذا عرض لما يجري من أحوال في عرصات القيامة وما ينتهي إليه الموقف من إسعاد أهل الإيمان والعمل الصالح وإشقاء أهل الشرك والمعاصي.

(٢) لا يوصف ولا تهتدي العقول إلى معرفة كنه صفته لأن الله تعالى إذا قال كبير كان مما لا يقادر قدره.

(٣) هذا الخطاب خاص بقريش قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والاستثناء منقطع فهو بمعنى لكن ومعنى الآية قل لا أسألكم عليه أي على البلاغ اجراً أي ثواباً وجزاء إلا ان تَوَدُّوني من قرابتي منكم اي تراعوا ما بيني وبينكم فتصدقوني وتنصروني حتى ابلغ رسالتي وذلك انه ما من بطن من بطون قريش إلا وفيه للرسول ﷺ قرابة رحم وأما توجيه الآية على آل رسول الله ﷺ فهو تمحل واضح إلا أن حب آل البيت وتعظيمهم واجب اكيد ووردت فيه أحاديث كثيرة صالحة للاحتجاج بها.

ابلغ دعوة ربى .

وقوله تعالى : ﴿ومن يقترف حسنة﴾ أي من يعمل حسنة نزد له فيها حسنا بأن نضاعفها له اذ الله غفور للتائبين من عباده شكور للعاملين منهم فلا يضيع أجر من أحسن عملا .

وقـوله : ﴿أم يقولون افترى[1] على الله كذباً﴾ أي بل يقولون أفترى على الله كذباً أي يقول المشركون إن محمداً افترى على الله كذباً فادعى أن القرآن من كلام الله ووحيه وماهو إلا افتراء افتراه على الله . فأبطل الله تعالى هذه الدعوة وقال : ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ أي يطبع على قلبك فتنسى القرآن ولاتقدر على قوله والنطق به ، فكيف إذاً يقال إنه يفترى على الله كذباً والله قادر على منعه والإحالة بينه وبين مايقوله . وقوله : ﴿ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنـه عليم بذات الصدور﴾ هذا شأنه تعالى يمحو الباطل ويحق الحق بالقرآن وقد فعل فَمَحَا الباطل وأحق الحق فمامات رسول الله ﷺ وفي الجزيرة من يعبد غير الله تعالى . وقوله ﴿إنه عليم بذات الصـدور﴾ فلواسع علمه وعظيم قدرته محا الباطل وأحق الحق بالقرآن ولو كان القرآن مفتـرى مامحـا باطلاً ولا أحق حقاً وقوله تعالى : ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ أي إن تابوا إليه وأنابوا ، ويعفوا عن سيئاتهم فلا يؤاخذهم بها ، ويعلم مايفعلون فى السر والعلن ويجزى كلاً بما عمل وهو على كل شيء قدير .

وقوله تعالى : ﴿ويستجيب[2] الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي يجيب دعاءهم فيما طلبوه ويزيدهم من فضله فيعطيهم مالم يطلبوه فما أعظم كرمه وما أوسع رحمته !! هذا للذين آمنوا وعملوا الصالحات . وأما الكافرون فلهم عذاب شديد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير حق القرابة ووجوب المودة فيها . واحترام قرابة الرسول ﷺ وتقديرها .

٢ ـ تبرئة رسول الله ﷺ من الافتراء على الله عز وجل .

٣ ـ مضاعفة الحسنات ، وشكر الله للصالحات من أعمال عباده المؤمنين .

٤ ـ وجوب التوبة وقبول الله تعالى لها ، وقد كان رسول ﷺ يتوب الى الله فى اليوم مائة مرة . وللتـوبـة ثلاثـة شروط : الاقلاع الفورى عن المعصية ، والاستغفار ، والندم على مافعل من

(١) أم للإضراب الانتقالي والاستفهام إنكاري ينكر تعالى على المشركين الذين قالوا إن محمدا يفتري على الله الكذب فيقول أرسلني الله وما أرسله ويقول القرآن من وحي الله ، والله ما أوحى اليه فأنكر تعالى هذا على قائليه ووضح لهم ان دعواهم لا تمت إلى الواقع بصلة .

(٢) فاعل يستجيب هو الله عز وجل والذين مفعول به في محل نصب والسين والتاء للتأكيد إذ استجاب هو بمعنى أجاب .

المعصية بترك الواجب أو بفعل المحرم . وإن كان الذنب يتعلق بحق آدمي زاد شرط رابع وهو التحلل من الآدمي بأداء الحق أو بطلب العفو منه .

٥ ـ وعد الله تعالى باستجابة دعاء المؤمنين العاملين للصالحات وهم أولياء الله تعالى الذين أن سألوا أعطاهم وإن استعاذوه أعاذهم وإن استنصروه نصرهم . اللهم اجعلنا منهم وأحشرنا فى زمرتهم .

۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

ولوبسط الله الرزق لعباده : أي لو وسع الرزق لجميع عباده .

لبغوا فى الأرض : أي لطغوا فى الأرض جميعا .

ولكن ينزل بقدر مايشاء : أي ينزل من الأرزاق بقدر مايشاء فيبسط ويضيق .

إنه بعباده خبير بصير : أي إنه بأحوال عباده خبير إذ منهم من يفسده الغنى ومنهم من يصلحه ومنهم من يصلحة الفقر ومنهم من يفسده .

وهو الذي ينزل الغيث من بعد ماقنطوا : أي المطر من بعد يأسهم من نزوله .

وينشر رحمته : أي بركات المطر ومنافعه فى كل سهل وجبل ونبات وحيوان .

وهو الولي الحميد : أي المتولى لعباده المؤمنين المحسن إليهم المحمود عندهم .

ومابث فيهما من دابة : أي فرق ونشر من كل مايدب على الأرض من الناس وغيرهم.
وهو على جمعهم إذا يشاء قدير : أي للحشر والحساب والجزاء يوم القيامة قدير.
وما أصابكم من مصيبة : أي بليه وشدة من الشدائد كالمرض والفقر.
فيما كسبت أيديكم : أي من الذنوب والآثام.
ويعفو عن كثير : أي منها فلا يؤاخذ به، وما عفا عنه فى الدنيا لايؤاخذ به فى الآخرة.
وما أنتم بمعجزين فى الأرض : أي وَلَسْتم بفائتي الله ولا سابقيه هرباً منه إذا أراد مؤاخذتكم بذنبكم.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ولو بسط[1] الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض﴾ هذا شروع فى عرض مظاهر القدرة والعلم والحكمة الموجبة لربوبية الله تعالى المستلزمة لألوهيته على عبادته فقال تعالى : ﴿ولو بسط الله﴾ أي رب العباد الرزق فوسعه عليهم لبغوا فى الأرض فطغا بعضهم على بعض وظلم بعضهم بعضا ولزم ذلك فساد كبير[2] فى الأرض قد تتعطل معه الحياة بكاملها.

ولكن ينزل بقدر مايشاء أي ينزل من الأرزاق بمقادير محددة حسب تدبيره لحياة عباده ويدل على هذا قوله إنـه بعبـاده خبير[3] بصير أي إنه بما تتطلبه حياة عباده ذات الآجال المحدودة، والأعمـال المقـدرة المـوزونـة، والنتـائج المعلومة أزلاً. هذا مظهر من مظاهر العلم والقدرة والحكمة ومظهر آخر فى قوله، ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته﴾، فإِنْزَالُ المطر بكميات ومقادير محدودة وفى أماكن محددة، وفى ظروف محددة هذا التصرف ماقام إلا على مبدأ القدرة القاهرة والخبرة التامة، انه يمنع عن عباده المطر فيمحلوا ويجدبوا حتى ييأسوا ويظهر عجزهم وعجزا آلهتهم التى يعبدونها ظلما فاضحاً إذ لاتستحق العبادة بحال من الأحوال ثم ينزل الغيث[4] وينشر الرحمة فتعم الأرزاق والخيرات والبركات، وهو الولي الذى لاتصلح الولاية لغيره الحميد أي المحمود بصنائع بره وعوائد خيره ومظاهر رحمته. هو الولي بحق والمحمود

---

(١) روى ان خباب بن الأرت قال هذه الآية نزلت فينا نظرنا إلى أموال بني النضير وقريظة وقينقاع فتمنيناها فنزلت ﴿ولو بسط الله﴾ الآية والآية تضمنت رداً على من يقول ما دام الله يستجيب للذين آمنوا الخ لم لا يسألونه سعة الرزق فيغنهم ويثريهم بالأموال فكان الجواب ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض.

(٢) وشاهده من السنة هو قوله ﷺ فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم.

(٣) القدر بفتحتين: المقدار والتعيين والجمع بين صفتي «خبير» و«بصير» لأن وصف خبير، دال على العلم بمصالح العباد وأحوالهم قبل تقديرها وتقدير أسبابها أي العلم بما سيكون ووصف بصير دال على العلم المتعلق بأحوالهم التي حصلت.

(٤) الغيث المطر وسمي غيثاً لأن به غيث الناس المضطرين.

بحق، ومظهر آخر فى قوله تعالى ومن آياته الدالة على وجوده وقدرته وعلمه وحكمته الموجبة لربوبيته لسائر خلقه والمستلزمة لألوهيته على سائر عباده : ﴿خلق السموات والأرض﴾ ايجادهما بما هما عليه من عجائب الصفة، ومابث أى فرق ونشرفيهما من دابة تدب على الأرض، أو ملك يسبح فى السماء. فهذا الخلق والإبداع ناطق بربوبيته تعالى صارخ بألوهيته لعباده فلم إذاً يعبد غيره من مخلوقاته وتترك عبادته وفوق هذا المظهر للخلق والرزق والتدبير مظهر آخر وهو قدرته تعالى على جمع سائر خلقه في صعيد واحد ومتى؟ وإنه بعدإفنائهم وتصييرهم عظاما ورفاتا، وهو معنى قوله : وهو على جمعهم إذا يشاء قدير[1]

وقوله تعالى : ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت[2] أيديكم ويعفو عن كثير﴾[3]، وهذا مظهر آخر للقدرة والعلم يتجلى فيما يصيب الإنسان من مصيبة فى نفسه وولده وماله إن كل مصاب ينزل بالإنسان فى هذه الحياة ناتج «عن مخالفة لله تعالى فيما وضع من القوانين والشرائع والسنن. وأعظم دلالة أن يُعطل القانون الماضى ويوقف مفعوله فيكسب العبد الذنبَ ولا يؤاخذ به عفواً من الله تعالى عليه، وهو معنى قوله تعالى ﴿ويعفو عن كثير﴾. فله الحمد وله المنة. ومظهر آخر من مظاهره قدرة الله وعلمه وحكمته هو ان الناس مهما أوتوا من قوة وتدبير وعلم ومعرفة لم ولن يعجزوا الله تعالى ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ فالسماء فوقهم والأرض تحتهم إن يشأ يخسف الأرض من تحتهم أو يسقط السماء كسفا من فوقهم. فإلى أين المهرب والجواب الى الله فقط بالاستسلام له والانقياد بالطاعة وفى ذلك نجاتهم وعزهم وكرامتهم زيادة على سعادتهم وكمالهم في الحياتين وقوله : ﴿ومالكم من دون الله من ولي ولانصير﴾ أي وليس لكم أيها الناس مع عجزكم من ولي يتولاكم ولاناصر ينصركم. إذاً ففروا إلى الله بالإيمان به والإسلام له تنجوا وتسعدوا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان الحكمة فى تقدير الأرزاق وإعطائها بمقادير محددة.

٢ ـ من مظاهر ربوبية الله تعالى الموجبة لألوهيته على عباده إنزال الغيث بعد اليأس والقنوط وخلق السموات والأرض ومابث فيها من دابة.

٣ ـ بيان حقيقة علمية ثابتة وهى أن المخالفة للقوانين يترتب عليه ضرر يصيب المخالف.

٤ ـ بيان أنه مامن مصيبة تصيب المرء فى نفسه أو ولده أو ماله إلا بذنب ارتكبه.

---

(١) تقرير لعقيدة البعث والجزاء أثناء تقرير عقيدة التوحيد والنبوة المحمدية.

(٢) قرأ نافع بما كسبت وقرأ حفص فبما كسبت بزيادة الفاء.

(٣) قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب، ولما يعفوا الله عنه أكثر. وشاهد آخر من كتاب الله تعالى قوله تعالى ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾.

٥ - بيان أن من الذنوب مايعفو الله تعالى عنه ولايؤاخذ به تكرما واحساناً.[1]

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام : أي ومن علامات ربوبيته للخلق ايجاد السفن كالجبال في البحار وتسخير البحار للسير فيها لمنافع العباد.

إن يشأ يسكن الريح : أي يوقف هبوب الريح فلا نسيم ولا عواصف.

فيظللن رواكد على ظهره : أي تقف السفن وتظل راكدة حابسة على ظهر البحر.

ان في ذلك لآيات : أي في هذه المظاهر من خلق السفن والبحار وتسخير البحار وسير السفن وركودها عند سكون الرياح لدلالات واضحة على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته.

لكل صبار شكور : أي إن هذه الآيات لايراها ولاينتفع بها إلا من كان صباراً عند الشدايد والمحن شكوراً عند الآلاء والنعم.

أو يوبقهن بما كسبوا : أي وان يشأ يجعل الرياح عواصف فيهلك تلك السفن ويغرقها بمن فيها بسبب ذنوب أصحابها، وهو على ذلك قدير.

ويعفو عن كثير : أي وإنه تعالى ليعفو عن كثير من الذنوب والخطايا فلا يؤاخذ بها إذ لو آخذ بكل ذنب مابقي أحد على وجه الأرض لقلة من لايذنب فيها.

ويعلم الذين يجادلون في آياتنا : أي ويعلم المكذبون بآيات الله من المشركين عندما تعصف العواصف وتضطرب السفن ويخاف الغرق.

مالهم من محيص : أي ليس لهم من مهرب إلا إلى الله فيجأرون بدعائه وحده ناسين آلهتهم الباطلة.

---

(١) ولذا قال عليّ رضي الله عنه أرجى آية في كتاب الله تعالى هي هذه الآية وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه ؟.

معنى الآيات .

مازال السياق فى ذكر مظاهر الربوبية المستلزمة لألوهية الله تعالى ووجوب عبادته وحده دون سواه فقال تعالى : ﴿ومن[1] آياته الجوار فى البحر كالأعلام﴾ أي ومن حججه عليكم ياعباد الله الدالة على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته أيضا هذه السفن الجوار فى البحر كأنها جبال عالية تسير من إقليم إلى إقليم بتسخير الله تعالى البحار وإرسال الرياح وهى تجرى بمنافعكم حيث تنقل الركاب والبضائع من إقليم إلى آخر. فهذا مظهر قدرة الله ورحمته، وان يشأ تعالى إسكان الريح فإنها تسكن فلا تهب ولاتنسم بنسيم ألبتّة فتقف السفن وتركد على[2] سطح الماء فلا تتحرك، وإن يشأ أيضا يرسل عليها عواصف من الريح فتضطرب وتغرق بما فيها ومن فيها وذلك بذنوب أصحابها إن القاعدة الثابتة المقررة أنه مامن مصيبة إلا بذنب. وهذا معنى قوله ﴿إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره﴾.

وقوله تعالى ﴿إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ أي إن فى هذه المظاهر من خلق السفن والبحار وتسخير البحار وسير السفن عليها وركودها عند سكون الريح لحجج واضحة قوية على وجود الله وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته ولكن لايراها ولا ينتفع بها أمثال البهائم، ولكن هى من نصيب كل عبد صبار على طاعة الله وبلائه شكور لآلائه ونعمه عليه..

وقوله ﴿أويو بقهن بما كسبوا﴾[3]. وقوله ﴿ويعف عن كثير﴾[4] أي

ولايؤاخذ بكل ذنب فقد يعفو عن كثير من الذنوب. إذ لو عاقب على كل ذنب وآخذ بكل خطيئة لما بقى على الأرض أحد إذ ما من أحد إلا ويذنب اللهم إلا ما كان من المعصومين من الأنبياء والمرسلين فإنهم لايذنبون، ولكن قد يذنب أصولهم وفروعهم فيهلكون ومن أين يوجدون!!

---

(١) الجوار جمع جارية والأعلام جمع علم والعلم الجبل والآيات جمع آية وهي العلامة الدالة على الشيء الهادية إليه المعرفة به. وسميت السفينة جارية لأنها تجري في البحر وسميت الشابة من النساء جارية لأنها يجري فيها ماء الشباب. قال الخليل كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم واستشهد بقول الخنساء وهي ترثي أخاها صخراً.

وإن صخراً لتأتم الهداة به   كأنه علم في رأسه نار

(٢) يقال ركد الماء ركوداً سكن وكذلك الريح والسفن والشمس إذا قام قائم الظهيرة وكل ثابت في مكان فهو راكد والرواكد جمع راكدة مؤنث راكد.

(٣) أي وإن يشأ يجعل الرياح عواصف فيوبق السفن أي يغرقهن بذنوب أهلها إذ الباء سببية.

(٤) ويعفو عن كثير أي من أهلها فلا يغرقهم معها، كما يتجاوز عن كثير من الذنوب فلا يؤاخذ بها. ويعف مجزوم بحذف آخره لأنه معطوف على إن يشأ يسكن الريح أي وإن يشأ يعف.

وقوله تعالى : ﴿ويعلم[1] الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص[2]﴾ أي وعندما تكون الريح عاصفة وتضطرب السفن وتشرف على الغرق هنا يعلم المشركون الذين يخاصمون رسول الله ويجادلونه فى الوحى الإلهى ويكذبون به يعلمون انهم فى هذه الحال مالهم من محيص أى من ملجأ ولامهرب من الله إلا إليه فيجأرون بدعاء الله وحده كما قال تعالى فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ مظاهر ربوبية الله وألوهيته على خلقه.

٢ ـ فضل الصبر والشكر وفضيلة الصابرين الشاكرين.

٣ ـ تقرير قاعدة مامن مصيبة إلا بذنب مع عفو الله عن كثير.

٤ ـ عند معاينة العذاب يعرف الإنسان ربه ولا يعرف غيره.

فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾

---

(١) قرأ نافع ويعلم بالرفع على انه كلام مستأنف وقرأ حفص ويعلم بالنصب عطفاً على فعل مدخول للام التعليل وتضمن (أن) بعده، والتقدير لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون الخ .

(٢) المحيص مصدر ميمي من حاص يحيص حيصاً إذا أخذ في الفرار والهرب مائلا في سيره وفي حديث أبي سفيان: فحاصوا حيصة حمر الوحش. والمعنى ما لهم من فرار ومهرب من لقاء الله تعالى.

شرح الكلمات :

فما أوتيتم من شيء : أي فما أعـطيتم من شيء من متاع الدنيا كالمال والولدوالمطعم والمشرب والملبس والمسكن والمنكح والمركب.

فمتاع الحياة الدنيا : أي يتمتع به زمناً ثم يزول ولايبقى.

وماعند الله خير وأبقى : أي وماعند الله من ثواب الآخرة فهو خير فى نوعه وأبقى فى مدته.

للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون : أي ماعند الله خير وأبقى لأصحاب الصفات التالية : الإيمان، والتوكل على الله، واجتناب كبائر الأثم والفواحش، والتجاوز عمن أساء إليهم، والاستجابة لربهم فى كل مادعاهم إليه فعـلا أو تركاً، وإقام الصلاة والمشورة[1] بينهم والإنفاق مما رزقهم الله، والانتصـار عنـد البغي عليهم هذه عشـر صفات أصحابها ما أعده الله تعالى لهم يوم يلقونه خير من متاع الدنيا بكامله.

وجزاء سيئة سيئة مثلها : أي جزاء سيئة المسيء عقوبته بما أوجبه الله عليه.

فمن عفا وأصلح فأجره على الله : أي فمن عفا عمن أساء إليه وأصلح مابينه وبينه فأجره على الله ثابت له.

إنه لايحب الظالمين : أي لايحب البادئين بالظلم، ومن لم يحبه الله أذن فى عقوبته.

ولمن انتصر بعد ظلمه : أي ومن ظلمه ظالم فأخذ منه بحقه.

فأولئك ماعليهم من سبيل : أي لمؤاخذتهم، لأنهم مابدأوابالظلم.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿فما أوتيتم من شيء[2] فمتاع الحياة الدنيا﴾ هذا شروع فى بيان صفات الكمال فى المسلم التى يستوجب بها نعيم الآخرة ضمن التعريض بزينة الحياة الدنيا الفانية فقال تعالى ﴿فما أوتيتم﴾ أيها الناس من مؤمن وكافر من شيء فى هذه الحياة الدنيا من لذيذ الطعام والشراب وجميل اللباس، وفاخر المساكن وأجمل المناكح وأفره المراكب كل ذلك متاع الحياة الدنيا يزول ويفنى. أما ماعند الله أي ما اعده الله لأوليائه فى الدار الآخرة فهو خير وأبقى ولكن لمن أعده؟

---

(١) ومما قيل في المشورة نظماً قول بشار بن برد:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي لبيب أو مشورة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فإن الخوافي قوة للقوادم

الخوافي ريشات إذا ضم الطير جناحيه خفيت، والقوادم عشر ريشات في مقدم الجناح وهي كبار الريش.

(٢) قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا.﴾ يريد من الغنى والسعة في الدنيا.

والجواب للذين آمنوا أي بالله وآياته ولقائه ورسوله وبكل ماجاء به والذين على ربهم لاعلى سواه يتوكلون ثقة فى كفايته واعتماداً عليه، والذين يجتنبون أى يتركون كبائر الإثم[1] كالشرك والقتل والظلم وشرب الخمر وأكل الحرام والفواحش كالزنى واللواط. والذين إذا غضبوا يتجاوزون[2] عمن أغضبهم ويغفرون له زلته أو إساءته إليهم والذين استجابوا لربهم[3] عندما ناداهم ودعاهم لكل ماطلبه منهم، والذين أقاموا الصلاة فأدوها على وجهها المطلوب لها من خشوع مراعين شرائطها وأركانها وواجباتها وسننها وآدابها، والذين أمرهم شورى بينهم أى أمرهم الذى يهمهم في حياتهم أفراداً وجماعات وأمماً وشعوباً يجتمعون عليه ويتشاورون[4] فيه ويأخذون بما يلهمهم ربهم بوجه الصواب فيه. والذين مما رزقهم الله من مال وعلم وجاه وصحة بدن ينفقون شكراً لله على ما رزقهم واستزاده للثواب يوم الحساب. والذين إذا اصابهم البغي أى إذا بغي عليهم البغاه الظلمة من الكافرين ينتصرون لأنفسهم إعذاراً لها وإكراماً لأنها انفس الله وليها فالعزة واجبة لها. هذه عشر صفات متى اتصف بها العبد لا يضره شيء لو عاش الدهر كله فقيراً نقياً محروماً من لذيذ الطعام والشراب ومن جميل اللباس، والسكن والمركب إذ ماعند الله تعالى. له خير وأبقى مع العلم أن أهل تلك الصفات سوف لايحرمون من طيبات الحياة الدنيا بل هم أولى بها من غيرهم إلا أنها ليست شيئا يذكر إلى جانب ماعند الله يوم يلقونه ويعيشون فى جواره.

وقوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ هذا هو الحكم الشرعى جزاء المسيء العقوبة بما أوجب الله تعالى له فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ. وقوله تعالى فمن عفا عمن أساء إليه، وأصلح مابينه وبينه فعادت المودة وعاد الإخاء فأجره على الله وهو خير له وابقى من شفاء صدره بعقوبة اخيه الذى أساء إليه. وقوله تعالى ﴿إنه لايحب الظالمين﴾ تعليل لعظم الأجر لمن عفا أي كونه تعالى لايحب الظالمين ضاعف الأجر وأجزل المثوبة للمظلوم إذا عفا وأصلح. وقوله: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل[5]﴾ أي وللذى ظلم فانتصر لنفسه وردُّ الظلم عنها فهؤلاء لاسبيل لكم إلى أذيتهم وعقوبتهم. هذا حكم الله وشرعه.

---

(١) رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الفواحش الزنا وإن كبير الاثم الشرك وهو كذلك.

(٢) وإذا ما غضبوا هم يغفرون أي يتجاوزون ويحلمون عمن ظلمهم، قيل نزلت في عمر حين شتم بمكة وقيل في أبي بكر حين لامه الناس على إنفاقه ماله كله وحين شتم فحلم.

(٣) قال ابن زيد: هم الأنصار بالمدينة استجابوا إلى الإيمان بالرسول ﷺ حين انفذ اليهم اثنى عشر نقيباً منهم قبل الهجرة.

(٤) قال ابن العربي: الشورى ألفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب وما تشاور قوم قط إلا هدوا وفي الحديث ما خاب من استخار ولا ندم من استشار وما عال من اقتصد. والشورى والمشورة بمعنى واحد.

(٥) لقد مدح الله تعالى المنتصر من الظلم ومدح العفو عن الجرم، فالانتصار يكون من الظالم المعلن الفجور الوقح في الجمهور المؤذي للصغير والكبير فهذا الانتقام منه أفضل، والعفو يكون فى الفلتة، وفيمن يعترف بالزلة ويطلب العفو.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ متاع الحياة الدنيا إذا قوبل بما أعد الله للمؤمنين المتقين لايعد شيئاً يذكر ابداً.

٢ ـ بيان أكمل الشخصيات الإسلامية وهى الشخصية التى تتصف بالصفات العشر التى تضمنتها الآيات الأربع ذات الرقم (٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩).

٣ ـ مشروعية القصاص وعقوبة الظالم.

٤ ـ عدم مؤاخذة من ظلم فأخذ بحقه بلا زيادة عنه مالم يكن حداً فإن الحدود يقيمها الإمام.

٥ ـ فضيلة العفو على الإخوة المسلمين والإصلاح بينهم.

إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ
يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ
﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾
وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

إنما السبيل : أي بالعقوبة والأذية.

على الذين يظلمون الناس : أي يعتد ون عليهم فى أعراضهم أو أبدانهم وأموالهم.

ويبغون فى الأرض بغير الحق : أي ويطلبون فى الأرض الفساد فيها بالشرك والظلم والإجرام.
ولمن صبر وغفر : أي ولمن صبر فلم ينتصر لنفسه وغفر وتجاوز عمن أساء إليه.
إن ذلك : أي إن ذلك الصبر والتجاوز عن المسيء.
لمن عزم الأمور : أي لمن معزومات الأمور المطلوبة شرعا.
ومن يضلل الله : أي حسب سنته فى الإضلال.
فماله من ولي من بعده : أي فليس له من أحد يتولى هدايته ويقدر عليها.
هل إلى مرد من سبيل : أي هل إلى مرد إلى الحياة الدنيا من سبيل نسلكها لنعود الى الدنيا.
وتراهم يعرضون عليها : أي على النار خاشعين خائفين متواضعين.
ينظرون من طرف خفي : أي من عين ضعيفة النظر كما ينظر المقتول الى السيف لايملأ عينه منه.
يوم القيامة : أي لخلودهم فى النار، وعدم وصولهم إلى الحور العين فى دار السلام.
الا إن الظالمين : أي المشركين.
فى عذاب مقيم : أي دائم لايخرجون منه وهو عذاب الجحيم.
ومن يضلل الله فما له من سبيل : أي طريق إلى الهداية فى الدنيا، وإلى الجنة يوم القيامة.

معنى الآيات :

لقد تقدم قوله تعالى فى الآية قبل هذه : ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل﴾ فلما نفى عن المنتصرين السبيل إلى عقوبتهم أثبت هنا أن السبيل الى العقوبة والمؤاخذة هو على الذين[1] يظلمون الناس بالاعتداء عليهم فى أبدانهم أو أعراضهم أو أموالهم ويبغون فى الأرض بغير الحق أى ويطلبون الفساد فيها بالشرك والظلم والمعاصى، وليس فى الشرك والظلم والمعاصى من حق يبيحها، وقوله ﴿أولئك لهم عذاب أليم﴾ أي للذين يبغون فى الأرض بغير الحق لهم عذاب أليم أي موجع وهو عذاب الدنيا بعقوبتهم الصارمة ويوم القيامة ان لم يتوبوا من الظلم والفساد فى الأرض.

وقوله تعالى : ﴿ولمن صبر وغفر إنَّ ذلك لمن عزم الأمور[2]﴾ يخبر تعالى مؤكداً الخير بلام الابتداء ان من صبر فلم ينتصر لنفسه من أخيه المسلم وغفر لأخيه زلته فتجاوز له عنها فان ذلك المذكور من الصبر والتجاوز من معزومات الأمور المطلوبة شرعاً.

---

(١) هذه الآية تقابل آية التوبة ﴿ ما على المحسنين من سبيل﴾ حيث نفت السبيل على المحسنين وهو لومهم وعتابهم وهذه اثبتته على المسيئين الظالمين.

(٢) قال العلماء هذا فيمن ظلمه مسلم فإنه مندوب إلى الصبر وعدم المؤاخذة وهو العفو روى أن رجلاً سب آخر في مجلس الحسن البصري فكان المسبوب يكظم ويعرق ويمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون، والعزم عقد النية على العمل والثبات عليه.

وقوله تعالى : ﴿ومن يضلل الله فماله من ولي من بعده﴾[1] أي ومن يضلله الله تعالى حسب سنته في الإضلال فليس له من أحد من بعد الله يهديه. وقوله تعالى : ﴿وترى الظالمين﴾ أي المشركين لما رأوا العذاب أى عذاب النار يقولون: متمنيين الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا ويُوَحّدُوا حتى ينجوا من عذاب النار ويدخلوا الجنة مع الابرار: هل إلى مرد من سبيل؟ أى هل إلى مرد الى الدنيا من طريق؟قال تعالى﴿ وتراهم يعرضون عليها﴾ أي على النار خاشعين خاضعين متواضعين من الذّل ينظرون من طرف خفى[2] يسترقون النظر لايملأون أعينهم من النظر الى النار لشدة خوفهم منها. وهنا يقول الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وإهليهم يوم القيامة وذلك لخلودهم فى النار وحرمانهم من الوصول إلى الحور العين فى الجنة دار الابرار، ويعلن معلن فيقول: ألا إن الظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصى فى عذاب مقيم لايبرح ولايزول وقوله تعالى﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ﴾يخبر تعالى بأنه لم يكن لأولئك الظالمين من أهل النار من أولياء من دون الله ينصرونهم بتخليصهم من العذاب. وقوله : ﴿ومن يضلل الله فماله من سبيل﴾ أي فما له طريق إلى هدايته فى الدنيا وإلى الجنة يوم القيامة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ لاسبيل إلى معاقبة من انتصر لنفسه بعد ظلمه.

٢ ـ وجوب معاقبه الظالم والضرب على يديه.

٣ ـ فضيلة الصبر والتجاوز عن المسلم إذا أساء بقول أو عمل.

٤ ـ لا أعظم خسرانا ممن يخلد فى النار ويحرم الجنة ومافيها من نعيم مقيم.

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا

---

(١) من ولي (من) زائدة للتوكيد إذ الكلام فما له ولي من بعده وكذلك في قوله الآتي ﴿وما كان لهم من أولياء﴾ فمن زائدة للتوكيد.

(٢) الطرف مصدر طرف يطرف طرفاً إذا حرك جفنه ولذا هو لا يثنى ولا يجمع قال تعالى ﴿ لا يرتد إليهم طرفهم﴾ ويطلق الطرف على العين كما في هذه الآية قال الشاعر:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

استجيبوا لربكم : أي أجيبوه لما دعاكم إليه من التوحيد والعبادة.

من قبل أن يأتي يوم : أي يوم القيامة.

لأمردّ له من الله : أي إذا أتى لايرد بحال.

مالكم من ملجأ يومئذ : أي تلجأون إليه وتتحصنون فيه.

ومالكم من نكير : أي وليس لكم ماتنكرون به ذنوبكم لأنها فى كتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها.

فإن أعرضوا : أي لم يجيبوا ربهم لما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة.

إن عليك إلا البلاغ : وقد بلغت فلا مسئولية تخشاها بعد البلاغ.

وإنا إذا اذقنا الإنسان منارحمة : أي نعمة كالغنى والصحة والعافية.

وإن تصبهم سيئة : أي بلاء كالمرض والفقر وغير ذلك.

بما قدمت أيديهم : أي من الذنوب والخطايا.

فإن الانسان كفور : أي للنعمة والمنعم والإنسان هو غير المؤمن التقى.

لله ملك السموات والأرض : أي خلقا وملكاً وتصرفا.

يهب لمن يشاء إناثا : أي يرزق من يشاء من الناس بنات.

ويهب لمن يشاء الذكور : أي ويعطى من يشاء الأولاد الذكور.

أو يزوجهم ذكرانا وإناثا : أي يجعلهم ذكوراً وإناثاً.

ويجعل من يشاء عقيما : أي لايلد ولايولد له.

معنى الآيات :

بعد ذلك العرض الهائل لأهوال وأحوال الظالمين فى عرصات القيامة طلب الرب تعالى من عباده أن يجيبوه لما طلبه منهم إنقاذاً لانفسهم من النار فقال : ﴿استجيبوا لربكم[1]﴾ بمعنى أجيبوه لما دعاكم إليه من التوحيد والطاعات قبل فوات الفرصة وذلك قبل الموت وقبل يوم القيامة اليوم الذى إذا جاء لامردّله من الله ، إذ لايقدر على رده إلا الله والله أخبر أنه لايرده فمن يرده إذاً؟ فبادروا بالتوبة الى ربكم قبل مجيئه حيث لايكون لكم يومئذ ملجأ تلجأون إليه هاربين من العذاب ولايكون لكم نكير يمكنكم أن تنكروا به ذنوبكم إذ قد جمعت لكم فى كتاب واحد لم يترك صغيرة من الـذنوب ولاكبيرة الا أحصاها عداً. هذا مادلت عليه الآية الأولى (٤٧) وهى قوله تعالى : ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لامرد له من الله مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير[2]﴾. وقوله تعالى فى الآية الثانية (٤٨) ﴿فإن أعرضوا﴾ أي لم يجيبوا ربهم لما دعاهم إليه من التوحيد والطاعة فما أرسلناك عليهم حفيظاً رقيبا تحصي أعمالهم وتحفظها لهم وتجازيهم بهـا. إن عليك إلا البـلاغ أى ماعليك إلا البـلاغ وقد بلغت وبرئت ذمتك فلا يهمك أمرهم ولاتحزن على اعراضهم. . وقوله تعالى : ﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان[3] منا رحمة﴾ أي نعمة كسعة رزق وصحة بدن وكثرة مال وولد فرح بها فرح البطر والأشر، وهذا الإنسان هو الكافر أو الجاهل الضعيف الإيمان. وإن تصبهم سيئة أى ضيق عيش ومرض وفقر بما قدمت ايديهم من الذنوب فإن الإنسان كفور سرعان ماينسى النعمة والمنعم ويقع فى اليأس والقنوط هذا الإنسان قبل أن يؤمن ويسلم ويحس فإذا آمن وأسلم وأحسن تغير طبعـه وطهر نبعه وأصبح يشكر عند النعمة ويصبـر عنـد النقمـة. وقوله تعالى : ﴿لله ملك السموات[4] والأرض يخلق مايشاء﴾ إنه بِحُكم سلطانه على الأرض والسماء فانه يتصرف كيف يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم له ذكوراً وإناثاً، ويجعل من يشاء من الناس عقيما لايلد ولايولد له، وهذا ناتج عن علم أحـاط بكـل شىء، وقـدرة أخضعت لها كل شىء وهذا معنى قوله ﴿إنه عليم قدير[5]﴾. فالواجب أن يُسلم العبد لربه فيما وهبه وأعطاه إذ الله يعطى لحكمة ويمنع لحكمة، ومن السفه الاعتراض على حكم الله.

---

(١) السين والتاء للتوكيد واللام لربكم لتأكيد تعدية الفعل إلى المفعول نحو شكرت له وحمدت له وتسمى هذه اللام لام التبليغ ولام التبيين إذ الأصل اجابه واستجابه.

(٢) النكير: اسم مصدر انكر ينكر إنكاراً والنكير اسم المصدر إذ نقصت حروفه والمعنى مالكم إنكار لما جوزيتم به إذ لا يسعكم إلا الاعتراف.

(٣) الإذاقة كناية عن الإصابة والمراد بالرحمة أثرها وهي النعمة والتقدير وإنا إذا رحمنا الانسان فأصبناه بنعمة.

(٤) الجملة مستأنفة بيانياً إذ لسائل أن يقول لم لا يفطر الله الإنسان على خلق الشكر فكان الجواب لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء.

(٥) الجملة تعليلية فصفتا العلم والقدرة بهما يكون الولد ولا يكون فليسلم الأمر لله في العقم والولادة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ وجوب الاستجابة لله تعالى فى كل مادعا العبد إليه ، وذلك قبل أن يطلب الاستجابة ولا يمكن منها .

٢ ـ على الدعاة إلى الله تعالى إبلاغ مطلوب الله تعالى من عباده، ولايضرهم بعد ذلك شيء .

٣ ـ بيان طبع الانسان وحاله قبل أن يهذب بالإيمان واليقين والطاعات .

٤ ـ لله مطلق التصرف فى الملكوت كله فلا يصح الاعتراض عليه فى شيء فهو يهب ويمنع لحكم عالية لاتدركها عقول العباد .

٥ ـ وجود عقم فى الرجال وعقم فى النساء، ولابأس بالعلاج الجائز المشروع عند الشعور بالعقم أو العقر. اماما ظهر الآن من بنوك المني ، والإنجاب بطريق صبّ ماء فحل فى فرج امرأة عاقر وما إلى ذلك فهذه من أعمال الملاحدة الذين لايدينون لله بالطاعة له والتسليم لقضائه ، وإن صاموا وصلوا وادعوا أنهم مؤمنون إذ لاحياء لهم ولا إيمان لمن لاحياء له، وحسبهم قبحا فى سلوكهم هذا الكشف عن السوءات بدون انقاذ حياة ولاطلب رضا الله رب الأرض والسموات .

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

إلا وحياً أو من وراء حجاب : أي إعلاما خفيا سريعا فى يقظة أو منام، أو يكلمه من وراء حجاب فيسمع الكلام ولايرى الذات.

أو يرسلوا رسولا : أي أو يرسل ملكاً فى صورة إنسان فيكلمه مبلغا عن الله تعالى.

إنه علي حكيم : أي الله تعالى ذوعلوعلى سائر خلقه حكيم فى تدبير خلقه.

وكذلك أوحينا إليك : أي كما كنا نوحى إلى سائر رسلنا أوحينا اليك يامحمد هذا القرآن.

روحاً من أمرنا : أي وحيا ورحمة من أمرنا الذى نوحيه إليك.

ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان : أي لم تكن قبل تدرى أي شىء هو الكتاب، ولا الإيمان الذى هو قول وعمل واعتقاد.

ولكن جعلناه نوراً نهدى به : أي جعلنا القرآن نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا الى صراطنا.

وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم : أي الإسلام.

ألا إلى الله تصير الأمور : أي ترجع أمور جميع العباد في يوم القيامة إلى الله تعالى

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا[1]﴾ يخبر تعالى أنه ليس من شأن البشر كائنا من كان أن يكلمه الله تعالى إلا وحيا بأن يعلمه بطريق سريع خفي إلهاماً أو مناماً فيفهم عن الله تعالى ماألقاه فى روعه[2] جازما أنه كلام الله ألقاه اليه،هذه طريقة وثانية أن يكلمه الله تعالى فيسمعه كلامه بدون أن يرى ذاته كما كلم موسى عليه السلام غير مرة. وثالثة أن يرسل إليه رسولاً كجبريل عليه السلام فيبلغه كلام ربه تعالى هذا معنى قوله تعالى ﴿ ماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أويرسل[3] رسولا فيوحى بإذنه مايشاء إنه عليّ ﴾ أي ذوعلوعلى خلقه ﴿حكيم﴾ فى تدبيره لخلقه.

وقوله : وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا أى كما كنا نوحى إلى سائر رسلنا أوحينا إليك يامحمد روحاً وهو القرآن وسمى روحاً لأن القلوب تحيا به كما تحيا الأجسام بالأرواح، وقوله

---

(١) روى غير واحد أن الآية نزلت رداً على قول من قال للنبي ﷺ الا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك وجائز أن يكون اليهود الذين أشاروا بهذا على كفار قريش وجائز أن يكون اليهود هم القائلون له.

(٢) الروع بضم الراء القلب أو العقل، وبالفتح الفزع. وفي الحديث إن روح القدس نفث في روعي ان نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله واجملوا في الطلب والحديث صحيح. وادرج بعضهم خذوا ما حل ودعوا ما حرم.

(٣) اختلف الفقهاء فيمن حلف الا يكلم فلانا فكتب إليه أو أرسل إليه رسولا فهل يحنث؟ أوجه الأقوال أنه إذا اشترط المشافهة في حلفه انه لا يحنث وإن لم يشترطها يحنث ولا يحنث إن سلم عليه في الصلاة أما في خارجها فإنه يحنث.

﴿من أمرنا﴾[1] أي الذى نوحيه إليك الشامل للأمر والنهى والوعد والوعيد وقوله تعالى : ﴿وماكنت تدرى ما الكتاب﴾ أى القرآن ﴿ولا الإيمان﴾[2] الذى هو عقيدة وقول وعمل . وقوله : ﴿ولكن جعلناه نوراً﴾ أي جعلنا القرآن نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا إلى الإيمان بنا وتوحيدنا وطلب مرضاتنا بفعل محابّنا وترك مساخطنا .

وقوله : ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ أي وأنك يارسولنا لتهدي إلى صراط مستقيم الذي هو الدين الإسلامى وقوله ﴿ صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض ﴾ أى خلقا وملكا وعبيداً ﴿ وإلى الله تصير الأمور ﴾ أى وإليه تعالى مصير كل شيء ، ومرد كل شيء إذ هو المالك الحق والمدبر لأمر المخلوقات كلها ، ولذا وجب تفويض الأمر إليه والرضا بحكمه وقضائه ثقة فيه وفى كفايته .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان طرق الوحى وهى ثلاثة الأولى الإلقاء فى الروع يقظة أو مناماً والثانية أن يكلم الله النبي بدون أن يرى ذاته عز وجل كما كلم موسى فى الطور وكلم محمداً ﷺ فى الملكوت الأعلى والثالث أن يرسل إليه الملك إما فى صورته الملائكية أو فى صورة رجل من بنى آدم فيوحى إليه ماشاء الله أن يوحيه من أمره .

٢ ـ القرآن الكريم روح تحيا به القلوب الميتة كما تحيا الأجسام بالأرواح .

٣ ـ القرآن نور يستضاء به فى الحياة فتعرف به طرق السعادة وسبل النجاة .

---

(١) أي من شأننا العظيم المقتضي الإيحاء إليك بالقرآن الحاوي للشرائع والأحكام وأنواع الهدايات المكملة للإنسان الآخذ بها المسعدة له في الحياتين .

(٢) المنفي من الإيمان هو التفصيلي أما الإجمالي فقد ولد ﷺ مؤمناً موحداً ، ولذا لم يقل وماكنت مؤمناً فالمنفي شرائع الإيمان وتفاصيله .

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

مكيّـــة وآياتها تسع وثمانـون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ

شرح الكلمات :

حم : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب حم ويقرأ: حَامِيمْ

والكتاب المبين : أي والقرآن الموضح لطريق الهدى وسبيل السلام.

إنا جعلناه قرآنا عربيا : أي جعلناه قرانا بلسان العرب يقرأ بلسانهم ويفهم به.

لعلكم تعقلون : أي رجاء أن تعقلوا أيها العرب، ماتؤمرون به وماتنهون عنه.

وإنه فى أم الكتاب لدينا : أي فى اللوح المحفوظ كتاب المقادير كلِّها عندنا.

لعلي حكيم : أي لذو علو وشأن على الكتب قبله لايوصل إلى مستواه فى علوه ورفعته حكيم أى ذو حكمة بالغة عاليه لايرام مثلها.

افنضرب عنكم الذكر صفحا : أنمهلكم فنضرب عنكم الذكر صفحا أي لاننزل القرآن بأمركم ونهيكم ووعدكم ووعيدكم.

أنْ كنتم قوماً مسرفين : لأن كنتم قوماً مسرفين متجاوزين الحد في الشرك والكفر كلا لانفعل.

وكم أرسلنا من نبى فى الأولين : أي وكثيراً من الأنبياء أرسلناهم فى القرون الأولىٰ من الأمم الماضية.

فأهلكنا أشد منهم بطشا : أي فانزلنا عذابنا باشدهم قوة وبطشا من قومك فأهلكناهم.

ومضى مثل الأولين : أي ومضى فى الآيات القرآنية صفة هلاك الأولين.

معنى الآيات :

حـم الله أعلم بمراده به، والكتاب المبين[1] أى والقرآن الموضح لكل ماينجى من عذاب الله ويكسب جنته ورضاه وهذا قسم أقسم الله به، والمقسم عليه قوله : ﴿إنا جعلناه قرآنا عربياً﴾ أى جعلنا الكتاب المبين الذى هو القرآن عربياً أى بلسان العرب ولغتهم.

وقوله ﴿لعلكم تعقلون﴾ بيان للحكمة في جعل القرآن عربياً أي كي تعقلوا معانيه وتفهموا مراد الله منزله منه فيما يدعوكم إليه فيسهل عليكم العمل به فتكملوا وتسعدوا وقوله ﴿وإنه﴾ أى القرآن ﴿فى أم الكتاب﴾ أى اللوح المحفوظ لدينا عندنا ﴿لعلي﴾ أي ذو علو وشأن على سائر الكتب قبله حكيم ذو حكمة بالغة عالية لايرام مثلها.

وقوله تعالى : ﴿أفنضرب[2] عنكم الذكر صفحا أن كنتم[3] قوما مسرفين﴾ أي أنمهلكم فنضرب عنكم الذكر صفحا فلا ننزل القرآن حتى لاتؤمروا ولاتنهوا من أجل أنكم قوم مسرفون فى الشرك والكفر والتكذيب كلا لانفعل إذا الاستفهام للانكار عليهم وقوله ﴿وكم أرسلنا من[4] نبى فى الأولين﴾ أي وكثيرا من الأنبياء أرسلنا فى الأمم السابقة وما يأتيهم من نبيّ إلا كانوا به يستهزئون أي ما أتى أمة من تلك الأمم رسول منا إلا سخروا منه واستهزأوا به، وبما جاءهم به من الإيمان والتوحيد ودعاهم إليه من فعل الصالحات وترك المحرمات إذاً فاصبر على قومك فإنهم سالكون سبيل من سبقهم فى الكفر والتكذيب والسخرية والاستهزاء. وقوله تعالى : ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشا﴾ أي أهلكنا من هم أشد بطشا فى تلك الأمم الماضية لما كذبوا رسلنا واستهزأوا بهم فكيف بهؤلاء الذين هم أضعف منهم وأقل قوة وقدرة فأحرى بهم أن لايمتنعوا من عذابنا متى أردنا إنزاله بهم. وقوله ﴿ومضى مثل الأولين﴾ أي مضى فى الآيات القرآنية صفة هلاك الأولين كقوم عاد وثمود واصحاب مدين والمؤتفكات ألم يكن لقومك فى ذلك عبرة لو كانوا يعتبرون؟.

---

(١) الكتاب هو القرآن أقسم به تعالى للإعلان عن مكانته وعلو شأنه وجعلهُ قرآناً يقرأ بلسان العرب مكتوباً في سطورهم، ومحفوظاً في صدورهم للعلة الحكيمة التي تضمنها قوله ﴿لعلكم تعقلون﴾.

(٢) الفاء للتفريع والاستفهام إنكاري أي أتحسبون ان إعراضكم عما نزل من هذا الكتاب يبعثنا على ان نقطع عنكم تجدد التذكير بإنزال شيء آخر من القرآن؟ كما لا يجوز أن نضرب عنكم صفحاً فلا ننزل القرآن من أجل إسرافكم في الشرك والتكذيب، والصفح : الإعراض بصفح الوجه أي جانبه وهو أشد الإعراض.

(٣) قرأ نافع ﴿إن كنتم﴾ بكسر الهمزة وقرأ حفص ﴿أن كنتم﴾ بأن المصدرية. وإقحام «قوماً» إشارة إلى ان الإسراف صار طبعاً لهم لا يفارقهم.

(٤) كم أرسلنا إلى قوله إلى الأولين تضمن الكلام الإلهي أمرين الأول تسلية الرسول ﷺ والمؤمنين والثاني تهديد المشركين المسرفين بأنهم يتعرضون للهلاك الذي تعرضت له أمم قبلهم أشد منهم بطشاً وأكثر منهم قوة فأهلكوا وبقوا أثراً بعد عين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ مشروعية الإقسام بالله تعالى .

٢ ـ بيان شرف القرآن الكريم وعلو مكانته على سائر الكتب السابقة .

٣ ـ كون الناس مسرفين في الشرك والفساد لايمنع وعظهم ونصحهم وارشادهم .

٤ ـ بيان سنة بشرية وهي أنهم مايأتيهم من رسول إلا استهزأوا به .

٥ ـ في إهلاك الأقوى دليل على أن إهلاك من هو دونه أحرى وأولى لاسيما مع شدة كفره .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

ولئن سألتهم : أي ولئن سألت هؤلاء المشركين من قومك يارسولنا .

من خلق السموات والأرض : أي من بدأ خلقهنّ وأوجدهن ليقولن خلقهن الله ذو العزة والعلم .

الذى جعل لكم الأرض مهاداً[1] : أي الله الذى جعل لكم الأرض فراشا كالمهد للصبى .

(١) قرأ نافع مهاداً وقرأ عاصم مهداً . والمهاد اسم للشيء يمهد أي يوطأ ويسهل لما يحل فيه . والمهد مراد به هنا المهاد .

وجعل لكم فيها سبلا : أي طرقا .

لعلكم تهتدون : أي إلى مقاصدكم فى أسفاركم .

ماء بقدر : أي على قدر الحاجة ولم يجعله طوفاناً مغرقاً ومهلكاً .

فأنشرنا به بلدة ميتا : أي فَأَحْيَيْنَا به بلدة ميتا أى لانبات فيها ولازرع

كذلك تخرجون : أي مثــل هذا الإحياء للأرض الميتــة بالمـاء تحيون أنتم وتخرجون من قبوركم .

والذى خلق الأزواج كلها : أي خلق كل شىء إذا الأشياء كلها زوج ولم يعرف فرد إلا الله .

وجعل لكم من الفلك والأنعام : أي السفن ، والإبل .

لتستووا على ظهوره : أي تستقروا على ظهور ماتركبون .

وما كنا له مقرنين : أي مطيقين ولاضابطين .

وإنا إلى ربنا لمنقلبون : أي لصائرون إليه راجعون .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى دعوة المشركين إلى التوحيد بقوله تعالى : ﴿ولئن سألتهم﴾ أي ولئن سألت يارسـولنا هؤلاء المشركين من قومك قائلاً من خلق السموات والأرض أى من أنشأهن وأوجدهن بعد عدم لبادروك بالجواب قائلين الله ثم هم مع اعترافهم بربوبيته تعالى لكل شيء يشـركون فى عبادته أصناماً وأوثاناً . فى آيات أخرى صرحوا باسم الجلالة الله وفى هذه الآية قالوا : العزيز العليم[1] أى الله ذو العزة التى لاترام والعلم الذى لايحاط به . وقوله تعالى : ﴿الذى جعل لكم الأرض مهداً﴾ أى فراشاً وبساطاً[2] كمهد الطفل وهذا من كلام الله تعالى لامن كلام المشركين إذْ انتهى كلامهم عند العزيز العليم فلما وصفوه تعالى بصفتي العزة والعلم ناسب ذلك ذكر صفات جليلة أخرى تعريفاً لهم بالله سبحانه وتعالى فقال تعالى : ﴿الذى جعل لكم الأرض مهداً﴾ أي بساطا وفراشاً ، وجعل لكم فيها سبلاً أى طرقاً لعلكم تهتدون إلى مقاصدكم لنيل حاجاتكم فى البلاد هنا وهناك ، والذى نزل من السماء ماء بقدر وهو المطر بقدر أي بكميات موزونـة على قدر الحـاجـة منها فلم تكن ضحلة قليلة لاتنفع ولا طوفانا مغرقا مهلكا ، وقوله

---

(١) من الجائز أن يكون العزيز العليم من قول المشركين إذ هم لا ينكرون عزة الله وعلمه وقدرته كما درجنا عليه في التفسير إذ هو الظاهر من اللفظ والسياق وجائز أن يكون من قول الله تعالى وهما صفتان لاسم الجلالة (الله) الذي أجابوا به في غير آية من القرآن ثم ذكر من صفاته الموجبة لعبادته وحده دون من سواه فذكر ست صفات من صفات الجلال والكمال وهي متضمنة إنعامه وإفضاله على عباده بخلقهم ورزقهم .

(٢) كون الأرض مهداً لا ينافي كون جسمها كروياً .

﴿فأنشرنا﴾[1] أي أحيينا بذلك المطر بلدة ميتا أي أرضا يابسة لانبات فيها ولازرع. وقوله ﴿كذلك تخرجون﴾[2] أى مثل ذلك الأحياء للأرض الميتة يحييكم تعالى ويخرجكم من قبوركم أحياء. وقوله ﴿والذى خلق الأزواج كلها﴾ هذا وصف آخر له تعالى بأنه خلق الأزواج كلها من الذكر والأنثى، والخير والشر والصحة والمرض، والعدل والجور، إذْ لافرد إلا هو سبحانه وتعالى وفى الحديث الصحيح الله وتر يحب الوتر قل هو الله أحد وقوله ﴿جعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون﴾ هذا وصف آخر بصفاته الفعلية الدالة على وجوده وقدرته وعلمه والموجبة لألوهيته إذ جعل للناس من الفلك أى السفن مايركبون ومن الأنعام كالإبل ومن البهائم كالخيل والبغال والحمير كذلك وقوله ﴿لتستوا على ظهوره﴾ أى تستقروا على ظهوره أى ظهور ماتركبون، ثم تذكروا نعمة ربكم بقلوبكم إذا استويتم عليه وتقولوا بألسنتكم سبحان الذى سخر لنا هذا أى الله لنا واقدرنا على التحكم فيه، وما كنا له أى لذلك الحيوان المركوب بمقرنين أى بمطيقين ولاضابطين لعجزنا وقوته، ﴿وانا الى ربنا لمنقلبون﴾ أى لصائرون إليه بعد موتنا راجعون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير التوحيد بذكر صفات الربوبية المقتضية للألوهية.

٢ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٣ ـ معجزة القرآن فى الأخبار بالزوجية وقد قرر العلم الحديث نظام الزوجية وحتى فى الذرة فهى زوج موجب وسالب.

٤ ـ مشروعية التسمية والذكر عند ركوب مايركب فإن كان سفينة أو سيارة قال العبد بسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم، وإن كان حيوانا قال عند الشروع باسم الله وإذا استوى قاعداً: سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون.[3]

---

(١) أصل النشر البسط لما كان مطوياً وأريدَ به هنا إحياء الأرض بالنبات بعد محلها ويبسها وحسن إطلاق لفظ النشر لانتشار الحياة فيها بالنباتات.

(٢) ﴿وكذلك تخرجون﴾ أي إن إحياءكم بعد موتكم وخروجكم من الأرض منتشرين فيها كإحياء الأرض بالمطر وانتشار النباتات والزروع فيها فبأي حق تنكرون البعث وتكذبون به؟.

(٣) روى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي ان علياً رضي الله عنه أتى بدابة فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى عليها قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ثم حمد الله ثلاثاً وكبر الله ثلاثاً ثم قال سبحانك لا إله إلا الله ظلمت نفسي فاغفر لي ثم ضحك فقيل له مما ضحكت؟ فقال رأيت رسول الله فعل مثل ما فعلت ثم ضحك فقلت مما ضحكت يا رسول الله فقال ﷺ يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده إذا قال ربي اغفرلي ويقول علم عبدي انه لا يغفر الذنوب غيري.

وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم
بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى
ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ
شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ
مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ
كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾
وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

وجعلوا له من عباده جزءاً : أى وجعل أولئك المشركون المقرون بأن الله هو الذى خلق السموات والأرض من عباده جزءاً إذ قالوا الملائكة بنات الله .

إن الإنسان لكفور مبين : أي إن الإنسان المعترف بان الله خلق السموات وجعل من عباده جزءاً هذا الإنسان لكفور مبين أي لكثير الكفر بينه .

وأصفاكم بالبنين : أي خصكم بالبنين وأخلصهم لكم .

بما ضرب للرحمن مثلا[1] : أي بما جعل للرحمن شبها وهو الولد .

---

(١) المراد من المثل : الأنثى بدليل قوله تعالى في سورة النحل ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾ . وتفسيره بالولد أعمّ وأولى لأن النصارى كاليهود قبلهم قالوا: عزير ابن الله ، وعيسى ابن الله ؛ وكذبوا ، وقال بعض العرب : الملائكة بنات الله ؛ تعالى الله عن الولد/ ذكراً أو أنثى/ علواً كبيراً.

ظل وجهه مسودا وهو كظيم	: أي أقام طوال نهاره مسود الوجه من الحزن وهو ممتلىء غيظاً.
أو من يُنَشَأ فى الحلية	: أي أيجترئون على الله ويجعلون له جزءاً هو البنت التى تربى فى الزينة.
وهو فى الخصام غير مبين	: أي غير مظهر للحجة لضعفه بالأنوثة.
عباد الرحمن إناثا	: أي لأنهم قالوا بنات الله.
أشهدوا خلقهم	: أي أحضروا خلقهم عندما كان الرحمن يخلقهم.
ستكتب شهادتهم	: أي سيكتب قولهم إن الملائكة إناثاً.
ويسألون	: أي يوم القيامة عن شهادتهم الباطلة ويعاقبون عليها.
مالهم بذلك من علم	: أي دعواهم أن الله راض عنهم بعبادة الملائكة لا دليل لهم عليه ولا علم.
إن هم إلا يخرصون	: أي ماهم إلا يكذبون يتوارثون الجهل عن بعضهم بعضا.
أم آتيناهم كتابا من قبله	: أي أم انزلنا عليهم كتابا قبل القرآن.
فهم به مستمسكون	: أي متمسكون بما جاء فيه، والجواب لم يقع ذلك أبداً.
بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة	: أي إنهم لا حجة لهم إلا التقليد الأعمى لآبائهم.
وإنا على آثارهم مهتدون	: أي علي طريقتهم وملتهم ماشـون وهى عبـادة غير الله من الملائكة وغيرهم من الأصنام والأوثان.
إلا قال مترفوها	: أي متنعموها.
إنا وجدنا آباءنا على أمة	: أي ملّة ودين.
وإنا على آثارهم مقتدرون	: أي على طريقهم متبعون لهم فيها.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في دعوة المشركين إلىٰ التوحيد، والمكذبين إلىٰ التصديق فقال تعالىٰ مُنكراً عليهم باطلهم موبخاً لهم علىٰ اعتقاده والقول به، فقال ﴿وجعلوا له من عباده جزءا﴾ أي وجعل أولئك المشركون الجاهلون لله جزءاً أي نصيباً من خلقه حيث قالوا الملائكة بنات الله، وهذا من أكذب الكذب وأكفر الكفر إذ كيف عرفوا أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله، وأنهم يستحقون العبادة معالله فعبدوهم؟ حقاً إن الإنسان لكفور مبين[1] أي كثير الكفر وكبيره وبينه لايحتاج فيه إلى دليل وقوله تعالى : ﴿أم[2] اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم[3] بالبنين﴾ أي أتقولون أيها المشركون المفترون اتخذ الله مما يخلق من

---

(١) قال الحسن يعد المصائب وينسى النعم ومبين معناه مظهر للكفر.

(٢) أم اتخذ الميم صلة أي زائدة لتقوية الكلام والاستفهام للتوبيخ والتأنيب.

(٣) ﴿أصفاكم﴾ قال القرطبي : اختصكم واخلصكم بالبنين يقال اصفيته بكذا أي آثرته به وأصفيته الود اخلصته له.

المخلوقات بناتٍ، وخصكم بالبنين[١]، بمعنى أنه فضلكم على نفسه بالذكور الذين تحبون ورضي لنفسه بالإناث اللاتى تبغضون. عجباً منكم هذا الفهم السقيم. وقوله تعالى وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن[٢] مثلا أي بما جعل لله شبها وهو الولد ظَلَّ وجهه مسودا وهو كظيم، أي إن هؤلاء الذين يجعلون لله البنات كذبا وافتراء، إذا ولد لأحدهم بنت فبشر بها أى أخبر بأن امرأته جاءت ببنت ظل وجهه طوال النهار مسوداً من الكآبة والغم وهو كظيم أى ممتلىء غماً وحزناً.

وقوله تعالى: ﴿أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام[١] غير مبين﴾ ينكر تعالى عليهم ويوبخهم على كذبهم وسوء فهمهم فيقول: أيجترئون ويبلغون الغاية فى سوء الأدب، ويجعلون لله من يربى فى الزينة لنقصانه وهو البنات، وهو فى الخصام غير مبين لخفة عقله حتى قيل ما أدلت امرأة بحجة الا كانت عليها لالها. فقوله ﴿غير مبين﴾ أي غير مظهر للحجة لضعفه بالخِلقة وهى الأنثى والضمير عائد على من فى قوله ﴿أو من ينشأ[٢] فى الحلية﴾ أى الزينة.

وقوله تعالى ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد[٣] الرحمن إناثا﴾ أي حيث قالوا الملائكة بنات الله وعبدوهم لذلك طلبا لشفاعتهم والانتفاع بعبادتهم. قال تعالى: موبخالهم مقيما الحجة على كذبهم أشهدوا خلقهم أى أحضروا خلقهم عندما كان الله يخلقهم، والجواب لا، ومن أين لهم ذلك وهم مازالوا لم يخلقوا بعد ولا آباؤهم بل ولا آدم أصلهم عليه السلام وقوله تعالى ﴿أى ستكتب شهادتهم﴾ هذه وهى قولهم إن الملائكة بنات الله ويسألون عنها ويحاسبون ويعاقبون عليها بأشد أنواع العقاب، لأنها الكذب والافتراء، وعلى؟ إنه على الله، والعياذ بالله وقوله تعالى: ﴿وقالوا لو شاء الرحمن[٤] ماعبدناهم﴾. أي قال أولئك المشركون المفترون لمن أنكر عليهم عبادة الملائكة وغيرها من الأصنام قالوا: لو شاء الرحمن منا عدم عبادتهم ماعبدناهم. قال تعالى فى الرد عليهم ﴿ مالهم بذلك من علم﴾ أي ليس لهم أي علم برضا الله تعالى بعبادتهم لهم، ماهم فى قولهم ذلك إلا يخرصون أى يقولون بالخرص والكذب إذ العلم يأتى من طريق الكتاب أو النبى ولاكتاب عندهم ولانبى فيهم قال بقولتهم، ولذا قال تعالى منكراً

---

(١) أي في المجادلة والإدلاء بالحجة قال قتادة ما تكلمت امرأة ولها حجة إلا جعلتها على نفسها.

(٢) في الآية دليل على جواز لبس الذهب والحرير للنساء وهو إجماع إلا أن بعض السلف كان ينزه بناته عنه لقول أبي هريرة إياك يابنية والتحلي بالذهب فإني أخاف عليك اللهب، وقرأ نافع ﴿ينشأ﴾ وقرأ حفص ﴿ينشّأ﴾ فالأول بتخفيف الشين والثاني بتشديدها الأول من: أنشأ والثاني من نشأ.

(٣) قرأ نافع عند الرحمن وقرأ حفص عباد الرحمن ولا منافاة والملائكة عند الرحمن في الملكوت الأعلى في حضرة القدس يتلقون خطاب الله مباشرة بلا واسطة وهم في واقع الأمر عباد الرحمن وجملة (الذين هم عند الرحمن إناثا) صفة للملائكة فهي في محل نصب.

(٤) قولهم منظور فيه إلى أن مشيئة الله وهي إرادته قسمان إرادة كونيّة وإرادة تكليفية شرعية فالإرادة الكونية القدرية هذه لا تتخلف أبداً فما شاء الله كان والإرادة الشرعية التكليفية هي التي قد تتخلّف لأن الله تعالى وهب عبده إرادة واختياراً وبحسب ما يختاره يكون جزاؤه والمشركون لا علم لهم بهذا فلذا نفى عنهم العلم راداً باطلهم بجهلهم.

عليهم قولتهم الفاجرة ﴿أم آتيناهم كتابا فهم به مستمسكون﴾؟ لالا، ما آتاهم الله من كتاب ولا جاءهم قبل محمد من نذير إذا فلا حجة لهم إلا التقليد الأعمى للآباء والأجداد الجهال الضلال وهو ماحكاه تعالى عنهم فى قوله: ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ أى ملة[1] ﴿وإنا على آثارهم مهتدون﴾ أى ماشون مقتفون آثارهم وقوله تعالى: ﴿وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير﴾ أي رسول إلا قال مترفوها أى متنعموها بنضارة العيش وغضارته ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ أي ملة ودين ﴿وإنا على آثارهم مقتدون﴾ أي متبعون لهم فيها. فهذه سنة الأمم قبل أمتك يارسولنا فلا تحزن عليهم ولاتك في ضيق بما يقولون ويعتقدون ويفعلون أيضا. وهو معنى قوله تعالى ﴿وكذلك ما ارسلنا من قبلك﴾ إلى آخر الآية.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير صفة من صفات الإنسان قبل شفائه بالإيمان والعبادة وهى الكفر الواضح المبين.

٢ ـ وجوب إنكار المنكر ومحاولة تغييره فى حدود مايسمح به الشرع وتتسع له طاقة الإنسان.

٣ ـ بيان حال المشركين العرب فى الجاهلية من كراهيتهم البنات خوف العار وذلك لشدة غيرتهم.

٤ ـ بيان ضعف المرأة ونقصانها ولذا تكمل بالزينة، وان النقص فيها فطرى في البدن والعقل معاً.

٥ ـ بيان ان من قال قولاً وشهد شهادة باطلة سوف يسأل عنها يوم القيامة ويعاقب عليها.

٦ ـ حرمة القول على الله بدون علم فلا يحل أن يُنسب إلى الله تعالى شىء لم ينسبه هو تعالى لنفسه.

٧ ـ حرمة التقليد للآباء وأهل البلاد والمشايخ فلا يقبل قول إلا بدليل من الشرع.

۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ

---

(١) لفظ الأمة هنا يراد به الدين والملة والطريقة أيضاً ومن شواهد ذلك:

كنا على أمة آبائنا ويقتدي الآخر بالأول

وهل يستوي ذو أمة وكفور؟

مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم: قال لهم رسولهم : أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بأهدى أي بخير مما وجدتم عليه آباءكم هداية إلى الحق والسعادة والكمال.

قالوا إنابما أرسلتم به كافرون : أي قال المشركون لرسلهم ردًّا عليهم إنا بما ارسلتم به كافرون أى جاحدون منكرون غير معترفين به.

فانظر كيف كان عاقبة المكذبين : أي كانت دماراً وهلاكاً إذاً فلا تكترث بتكذيب قومك يارسولنا.

وإذ قال إبراهيم : أى وأذكر إذ قال إبراهيم أبو الأنبياء خليل الرحمن

إننى براء مما تعبدون : أى برىء مما تعبدون من أصنام لاأعبدها ولا اعترف بها.

إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين : أي لكن الذى خلقنى فإني أعبده وأعترف به فإنه سيهدني أي يرشدنى إلى مايكملنى ويسعدنى في الحياة الدنيا وفى الآخرة.

وجعلها كلمة باقية فى عقبه[1] : أي وجعل إبراهيم كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» باقية دائمة فى ذريته إذ وصاهم بها كما قال تعالى ووصى بها إبراهيم بنيه.

لعلهم يرجعون : أي رجاء أن يتوبوا إلى الله ويرجعوا إلى توحيده كلما ذكروها وهى لا إله إلا الله.

---

(١) لفظ العقب الوارد في الآية وفي الحديث الصحيح من أعمر عُمرى فهي له ولعقبه فإنها للذي أعطيها لا ترجع إلى الذي اعطاها لأنه اعطى عطاء وقعت فيه المواريث قال ابن العربي ترد هذه اللفظة على أحد عشر لفظاً وهي الولد والبنون والذرية والعقب والنسل والآل والقرابة والعشيرة والقوم والموالي.

بل متعت هؤلاء وآباءكم : أي هؤلاء المشركين وآباءهم بالحياة فلم أعاجلهم بالعقوبة.

حتى جاءهم الحق ورسول مبين : أي إلى أن جاء القرآن يحمل الدين الحق، ورسول مبين لاشك في رسالته وهو محمد ﷺ يبين لهم طريق الهدى والأحكام الشرعية.

وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم : أي وقال هؤلاء المشركون الذين متعناهم بالحياة فلم نُعاقبهم، هَلاَّ نزل هذا القرآن على أحد رجلين من قريتي مكة أو الطائف أي الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي في الطائف.

أهم يقسمون رحمة ربك؟ : أي ينكر تعالى عليهم هذا التحكم والاقتراح الفاسد فقال أهم يقسمون رحمة ربك إذ النبوة رحمة من أعظم الرحمات. وليس لهم حق في تنبئة أي أحد إذ هذا من حق الله وحده.

نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا : أي إذا كنا نحن نقسم بينهم معيشتهم فنغني هذا ونفقر هذا ونملك هذا ونعزل هذا، فكيف بالنبوة وهي أجل وأغلى من الطعام والشراب فنحن أحق بها منهم فننبىء من نشاء.

ليتخذ بعضهم بعضا سخريا : أي جعلنا هذا غنياً وذاك فقيراً ليتخذ الغنى الفقير خادما يسخره في خدمته بأجرة مقابل عمله.

ورحمة ربك خير مما يجمعون : أي والجنة التى أعدها الله لك ولأتباعك خير من المال الذى يجمع هؤلاء المشركون الكافرون.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى قول المشركين لرسلهم : ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ «ملة» ﴿وإنا على أثارهم مقتدون﴾، قال مخبراً عن قول الرسول لأمته المكذبة المقلدة للآباء الظالمين ﴿قال[1]: أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ أي اتتبعون آباءكم ولاتتبعوني ولو جئتكم بأهدى إلى الخير والسعادة مما وجدتم عليه آباءكم، وهذا إنكار من الرسول عليهم في صورة استفهام[2] وهو توبيخ أيضا إذ العاقل يتبع الهدى جاء به من جاء قريباً كان أو بعيداً. وقوله تعالى ﴿قالوا إنا بما أرسلتم[3] به كافرون﴾ هذا قول الأمم المكذبة المشركة لرسلهم أي كل أمة قالت هذا لرسولها: إنـا بما أرسلتم به من التوحيد وعقيدة البعث والجزاء والشرع وأحكامه كافرون أي منكرون

(١) قرأ نافع والجمهور قل بصيغة الأمر وقرأ حفص قال بصيغة الماضي فيعود الضمير إلى نذير الذين قالوا ﴿إنا وجدنا آباءنا﴾ . . الخ . وأما على قراءة نافع فهو أمر للرسول ﷺ ليقول للمشركين ما أمره أن يقوله لهم.

(٢) هذا الاستفهام تقريري إلا أنه مشوب بالإنكار والتوبيخ .

(٣) في قولهم هذا معنى التهكم برسلهم إذ أثبتوا لهم الرسالة وهم مكذبون بها كقول قريش مالِ هذا الرسول يأكل الطعام .

مكذبون غير مصدقين، قال تعالى: ﴿فانتقمنا منهم﴾[1] أي لتكذيبهم فأهلكناهم فانظر يارسولنا كيف كان عاقبتهم وهم المكذبون إنها دمار شامل وهلاك تام. وليذكر هذا قومك لعلهم يذكرون.

وقوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه[2] وقومه إنني براء مما تعبدون﴾ أي واذكر يارسولنا لقومك قول إبراهيم الذى ينتسبون إليه باطلا لأبيه وقومه: إنني براء مما تعبدون أي إنى برىء من آلهتكم التى تعبدونها فلا أعبدها ولا اعترف بعبادتها. وقوله ﴿إلا الذى فطرنى﴾ أي لكن اعبد الله الذى خلقنى فهو أحق بعبادتى مما لم يخلقني ولم يخلق شيئا وهو مخلوق أيضا. وقوله فإنه سيهدين أي يرشدنى دائما إلى مافيه سعادتى وكما لى. وقوله تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون﴾ أي وجعل براءته من الشرك والمشركين، وعبادته خاصة بالله رب العالمين جعلها كلمة باقية فى ذريته حيث وصاهم بها كما جاء ذلك فى سورة البقرة إذ قال تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه﴾ أي بأن لايعبدوا إلا الله وهى إذاً كلمة لا إله إلا الله ورثها إبراهيم فى بنيه لعلهم يرجعون إليها كلما غفلوا ونسوا وتركوا عبادة الله تعالى والإنابة إليه بعوامل الشر والفساد من شياطين الإنس والجن فيذكرون ويتوبون إلى الله تعالى فيوحدونه ويعبدونه فجزى الله إبراهيم عن المؤمنين خيراً. وقوله تعالى: ﴿بل متعت[3] هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين﴾ أي بل لم يتحقق مارجاه إبراهيم كاملا إذا أشرك من بنيه من أشرك ومنهم هؤلاء المشركون المعاصرون لك أيها الرسول وآباءهم، ومتعهم بالحياة حتى جاءهم الحق الذى هو هذا القرآن يتلوه هذا الرسول المبين أى الموضح لكل الأحكام والمبين لكل الشرائع. ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون هكذا قالت قريش لما جاءها الحق الذى هو القرآن الحامل للشرائع والأحكام والرسول المبين لذلك والموضح له قالوا هذا سحر يسحرنا به، وإنا به أى بالقرآن والرسول كافرون أى جاحدون منكرون مكذبون وقالوا أبعد من ذلك فى الشطط والغلط وهو ماحكاه تعالى عنهم فى قوله: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ أي هلاّ نزل هذا القرآن على رجل شريف ذى مكانه مثل الوليد بن المغيرة[4] فى مكة أو عروة بن مسعود فى الطائف

---

(١) الفاء للتفريع وفي الآية تهديد ووعيد لكفار قريش بأن يحل بهم ما حل بالمكذبين قبلهم.

(٢) لما ادعى المشركون أنهم مقلدون آبائهم في الدين ذكر لهم ما ينبغي أن يقلدوه من آبائهم هو إبراهيم وإسماعيل وإلا فليس الأمر كما يدعون وإنما هم متبعون أهواءهم.

(٣) بل للإضراب الإبطالي أي لم يحصل ما رجاه إبراهيم كاملا بل هناك من لم يرجع إلى التوحيد من ذرية ابراهيم إذ جاء عمرو بن لحيّ بالأصنام وعبدها آباء هؤلاء وهم لها عابدون حتى مجيء الحق ورسوله محمد ﷺ.

(٤) هذا المشهور من الأقوال في الرجلين ومنهم من قال هما عمير بن عبدياليل الثقفي من الطائف وعتبة بن ربيعة من مكة وهو قول مجاهد، وقيل عظيم الطائف هو حبيب بن عمرو أما القريتان فلا خلاف في أنهما مكة والطائف لكونهما أكبر مدن تهامة.

وهـذه نظرة مادية بحتـة إذ رأوا أن الشرف بالمال، ولما كان محمد ﷺ لا مال له ولا ثراء رأوا أنه ليس أهلا للرسالة ولا للمتابعة عليها، فرد تعالى عليهم نظريتهم المادية الهابطة هذه بقوله : ﴿أهم[1] يقسمون رحمة ربك﴾؟ أما يخجلون عنـدمـا قـالـوا أهم يقسمون رحمة ربك فيعطون منها من شاءوا ويمنعون من شاءوا أم نحن القاسمون؟ إنا قسمنا بينهم معيشتهم : طعامهم وشرابهم وكساهم وسكنهم ومركوبهم فى الحياة الدنيا فالعاجز حتى عن إطعام نفسه وسقيها وكسوتها كيف لايستحي أن يعترض على الله فى اختياره من هو أهل لنبوته ورسالته؟ وقوله تعالى : ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ أي فى الرزق فهذا غنى وذاك فقير من أجل أن يخدم الفقير الغنى وهو معنى قوله تعالى : ﴿ليتخذ بعضهم[2] بعضا سخريا﴾، إذ لو كانوا كلهم اغنياء لما خدم أحد أحداً وتعطلت الحياة وقوله تعالى : ﴿ورحمة ربك﴾ أى الجنة دار السلام خير مما يجمعون من المال الذى فضلوا اهله وإن كانوا من أحط الناس قدرا وأدناهم شرفا. ورأوا أنهم أولى بالنبوة منك لمرض نفوسهم بحب المال والشهوات.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ من الكمال العقلى ان يتبع المرء الهدى ولو خالفه قومه وأهل بلاده.

٢ ـ وجوب البراءة من الشرك والمشركين وهذا معنى لا إله إلا الله.

٣ ـ فضيلة من يورث أولاده هدى وصلاحاً.

٤ ـ لايعترض على الله أحد فى شرعه وتدبيره إلا كفر والعياذ بالله تعالى.

٥ ـ بيان الحكمة فى الغنى والفقر، والصحة والمرض والذكاء والغباء.

وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن

---

(١) الاستفهام انكاري متضمن التوبيخ لهؤلاء الزاعمين اختيار من شاءوا للاصطفاء والرسالة فعلموا انه لا حق لهم في هذا الاختيار إذ هم لا خيار لهم حتى في طعامهم وشرابهم فضلا عن اختيار من يرسل ومن لا يرسل.

(٢) الجملة تعليلية للتفاضل في الرزق أي فاضل بينهم في الغنى والفقر ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً أي يستخدم الغني الفقير في قضاء حاجته وليأخذ الفقير منه ما يسد به حاجته والسخرى هنا بمعنى التسخير للعمل وليس بمعنى السخرية والاستهزاء إذ أجمع السبعة على قراءة ضم السين وعدم كسرها.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

شرح الكلمات :

أمة واحدة : أي على الكفر.

ومعارج : أي كالسلم والمصعد الحديث والمعارج جمع معرج وهو المصعد.

عليها يظهرون : أي يعلون عليها إلى السطوح.

وزخرفا : أي ذهباً أي لجعلنا لبيوتهم سقفا من فضة وذهب وكذلك الأبواب والمصاعد والسرر بعضها من فضه وبعضها من ذهب.

وان كل ذلك : أي وما كل ذلك المذكور.

لما متاع الحياة الدنيا : أي وماكل ذلك الا متاع الحياة الدنيا يتمتع به فيها ثم يزول.

والآخرة : أي الجنة ونعيمها خير لأهل الايمان والتقوى من متاع الدنيا.

معنى الآيات :

لما فضل تعالى الجنة على المال والمتاع الدنيوى فى الآيات السابقة قال هنا: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ أي على الكفر لجعلنا لمن يكفر بالرحمن (يعنى نفسه عز وجل) لبيوتهم سقفاً من فضة، ومعارج[1] عليها يظهرون[2] أى مراقى ومصاعد عليها يعلون الى الغرف والسطوح من فضه ولجعلنا كذلك لبيوتهم أبوابا وسرراً عليها يتكئون من فضة أيضا، وزخرفاً أى وذهبا أى بعض المذكور من فضة وبعضه من ذهب ليكون أجمل وأبهى من الفضة وحدها، وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا أى وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا يتمتع به الناس ثم يزول ويذهب بزوالهم وذهابهم. والآخرة عند ربك أى الجنة ومافيها من نعيم مقيم للمتقين الذين آمنوا واتقوا الشرك والمعاصى وماعند الله خير مما عند الناس، ومايبقى خير مما يفنى، ولذا قال الحكماء لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف «طين» لاختار العاقل الآخرة على الدنيا، وهو اختيار مايبقى على مايفنى.

---

(١) المعارج السلم وجمع السلم سلاليم وواحد المعارج معرج ومعرج بكسر الميم وفتحها وهي المرقاة والجمع مراقي.

(٢) روي ان نابغة بن جعدة أنشد رسول الله ﷺ قائلا:

علونا السماء عزة ومهابة وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

فغضب الرسول ﷺ وقال: إلى أين؟ قال إلى الجنة قال «أجل ان شاء الله» وهنا قال الحسن: والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل ذلك فكيف لو فعل؟!

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - الميل إلى الدنيا وطلب متاعها فطرى فى الإنسان فلذا لو أعطيها الكافر بكفره لمال إليها كل الناس وطلبوها بالكفر.

٢ - هوان الدنيا على الله وعدم الاكتراث بها إذ قال رسول الله ﷺ لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضه ماسقى كافراً منها شربة ماء رواه الترمذى وصححه وفى صحيح مسلم: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.(١)

٣ - بيان أن الآخرة خير للمتقين.

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

ومن يعش عن ذكر الرحمن : أي يعرض متعاميا متغافلا عن ذكر الرحمن الذى هو القرآن متجاهلا له.

نقيض له شيطاناً : أي نجعل له شيطاناً يلازمه لإضلاله وإغوائه.

فهو له قرين : أي فهو أي من عشا عن ذكر الرحمن قرين للشيطان.

وإنهم ليصدُّونهم عن السبيل : أي وإن الشياطين المقارنين لهم ليصدونهم عن طريق الهدى.

ويحسبون أنهم مهتدون : أي ويحسب العاشون عن القرآن وحججه وعن ذكر الرحمن

---

(١) أنشد بعضهم في ذم الدنيا فقال:

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن إذاً لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة وقد شبعت فيها بطون البهائم

	وطاعته أنهم مهتدون أى انهم على الحق والصواب وذلك بتزيين القرين لهم.
بعد المشرقين	: أي كما بين المشرق والمغرب من البعد قال هذا تبرؤاً منه.
ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم	: أي ولن ينفعكم اليوم أيها العاشون إذ ظلمتم أنفسكم بالشرك والمعاصى.
انكم فى العذاب مشتركون	: اشتراككم فى العذاب غير نافع لكم.
أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى	: أي إنك يارسولنا لاتسمع الصم، ولاتهدى العمى والقوم قد أصمهم الله وأعمى أبصارهم لأنهم عشوا عن ذكره.
ومن كان فى ضلال مبين	: أي كما انك لاتقدر على هداية من كان فى ضلال مبين عن الحق والهدى.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى عرض الهداية على الضالّين بالكشف عن أحوالهم واضاءة الطريق لهم قال تعالى : ﴿ومن يعش[1] عن ذكر الرحمن﴾ أي يعرض متعاميا متغافلا عن ذكر الرحمن الذى هو القرآن وعبادة الرحمن متجاهلا ذلك نقيض[2] له شيطاناً أى نسبب له نتيجة إعراضه شيطاناً ونجعله له قرينا لايفارقه فى الدنيا ولافى الأخرة. فهو له قرين دائما. وقوله تعالى : ﴿وإنهم لَيَصُدُّونَهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون﴾ أي وان القرناء الذين جعلهم تعالى حسب سنته فى الأسباب والمسببات للعاشين عن ذكره يصدونهم بالتزيين والتحسين لكل المعاصى حتى انغمسوا فى كل إثم وولغوا فى كل باطل وشر، وضلوا عن سبيل الهدى والرشد ومع هذا يحسبون أنهم مهتدون وغيرهم هم الظالمون.

وقوله تعالى : ﴿حتى إذا جاءنا[3]﴾ أي يوم القيامة قال العاشى عن ذكر الرحمن ياليت متمنيا بينى وبينك بعد المشرقين أي يتمنى لو أن بينه وبين قرينه من الشياطين من البعد كما بين المشرق والمغرب. قال تعالى لأولئك العاشين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنفسكم بالشرك والمعاصى فى الدنيا أنكم فى العذاب مشتركون أي إن اشتراككم فى العذاب غير نافع لكم ولا مجد ابداً. وقوله تعالى لرسوله : ﴿أفأنت[4] تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال

---

(١) هذا مضارع عشا يعشوا عَشواً كغزا (يغزوا) غزواً إذا نظر إلى الشيء نظراً غير ثابت يشبه نظر الأعشى والعشا بفتح العين والشين اسم ضعف العين عن رؤية الأشياء. وعشى كرضى إذا كان في بصره آفة العشا.

(٢) قيض يقيض تقييضاً فالتقييض: الإتاحة وتهيئة شيء لملازمة شيء لعمل حتى يتمه وهو مشتق من اسم جامد وهو قيض البيضة أي القشر المحيط بالمح، وهو لا يفارقه حتى يخرج منها الفرخ فيتم ما اتيح له القيض.

(٣) قرأ نافع جاءانا أي من يعش عن ذكر الرحمن والشيطان المقيض له وقرأ حفص بالإفراد جاءنا أي العاشي عن ذكر الرحمن.

(٤) الاستفهام إنكاري وفي الآية تسلية لرسول الله ﷺ وتسجيل ان الكافر أصم أعمى ومقابله المؤمن يسمع ويبصر.

مبين﴾ ينكر تعالى على رسوله ظنه أنه يقدر على هدايتهم وحده بدون إرادة الله تعالى ذلك لهم إذ كان ﷺ يجتهد فى دعائهم، وهم لايزدادون إلا تعامياً وتجاهلا وكفراً فقال تعالى يخاطب رسوله ﴿أفأنت﴾ والاستفهام للانكار تسمع الصم الذين ذهب الله بأسماعهم، أو تهدى العمى الذين ذهب الله بأبصارهم، ومن كان فى ضلال مبين عن الحق وسبيل الرشد والهدى إنك لاتقدر على ذلك فهون على نفسك وترفق فى دعوتك فإنك لاتكلف غير البلاغ وقد بلغت.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان سنة الله تعالى فيمن يعرض عن ذكر الله فإنه يسبب له شيطانا يضله ويحرمه الهداية أبداً فيقيم على الذنوب والآثام ضالا الطريق المنجى المسعد وهو يحسب انه مهتدٍ، وهذا يتعرض له المعرضون عن الكتاب والسنة كالمبتدعة واصحاب الأهواء والشهوات والعياذ بالله تعالى.

٢ ـ الاشتراك في العذاب يوم القيامة لايخففه.

٣ ـ بيان أن من اعماه الله وأصمه حسب سنته فى ذلك لا هادى له ولا مسمع له ولامبصر.

فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِى وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

فإما نذهبن بك : أي فإن نذهبن بك أي نميتك[1] قبل تعذيبهم، وما زائد ادغمت فيها إن الشرطية فصارت إمَّا.

فإنا منهم منتقمون : أي معذبوهم فى الدنيا وفى الآخرة.

وإما نرينك الذى وعدناهم : أي وإن نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب.

---

(١) أو بالخروج من مكة مكرهاً عليه من قبل أعدائك، وهجرة الرسول ﷺ ما كانت إلا بإرادته الحرة ولم يكن فيها مكرهاً ولا مُلجأً ولذا لم ينتقم الله من أهل مكة كما هو في التفسير.

فإنا عليهم مقتدرون : أي لايعوقنا عائق لأنا عليهم قادرون.
فاستمسك بالذى أوحي إليك : أي دم على استمساكك بالقرآن سواء عجلنا لك بالموعود به أو أخرناه.
إنك على صراط مستقيم : أي إنك على طريق الحق والهدى فواصل سيرك.
وإنه لذكر لك ولقومك : أي وإن القرآن لشرف لك وشرف لقومك.
وسوف تسألون : أي عن القرآن أى عن العمل به بتطبيق شرائعه وابلاغه لغيركم
وأسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا : أي اسأل مؤمنى أهل الكتابين التوراة والانجيل.
اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون: أي هل جعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون والجواب لم نجعل أبداً فليفهم هذا مشركو مكة.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى دعوة كفار قريش إلى الإيمان والتوحيد فقوله تعالى ﴿فإما نذهبن[1] بك﴾ أي إن نذهب بك أى نخرجك من بين أظهرهم فإنا منهم منتقمون أى فنعذبهم كما عذبنا الأمم من قبلهم عندما يخرجون رسولهم أو نرينك الذى وعدناهم من نصرك عليهم وغلبتك لهم فإنا عليهم مقتدرون أى قادرون على أن نفعل بهم ذلك.

وقوله تعالى : ﴿فاستمسك[2] بالذى أوحي اليك إنك على صراط مستقيم﴾ أي فتمسك يارسولنا بما يأمرك به هذا القرآن الذى أوحاه إليك ربك إنك على صراط مستقيم وهو الإسلام الذى لايشقى من تمسك به فعاش عليه ومات عليه. وقوله تعالى : ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ أي وان القرآن الذى أوحى إليك وأمرت بالتمسك به هو ذكر لك أي شرف وأى شرف ولقومك[3] من قريش كذلك إذا آمنوا به وعملوا بما جاء فيه وسوف تسألون[4] عن العمل به وتطبيق أحكامه والالتزام بشرائعه.

---

(١) الفاء تفريعية فالجملة متفرعة عما تقدم من قوله أفأنت تسمع الصم الخ والذهاب هنا قابل للموت والإخراج كرهاً بقرينة الوعيد المترتب عليه.
(٢) فاستمسك الفاء تفريعية عما قبلها والآية تحض على التمسك بالإسلام تشريعاً وعملا.
(٣) هذه الآية كآية الأنبياء وهي : ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾ ومنشأ هذا الشرف هو أن قريشاً نزل القرآن بلغتها فكل الناس محتاجون إلى معرفة لغتهم ليعرفوا ما طلب منهم من عقائد وعبادات وآداب فبهذا شرفت قريش.
(٤) من فسر السؤال بالعمل هو حق وكذا من فسره بالشكر فهو حق لأن شكر العلم العمل به وتعليمه.

وقوله ﴿واسأل من[1] ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾؟ أي وأسأل يارسولنا مؤمني أهل الكتابين التوراه والانجيل إذْ سؤالهما سؤال رسلهم الذين ماتوا من قبلك هل جعل الله تعالى من دونه آلهة يعبدون؟ وسوف يجيبونك بقولهم حاشا لله أن يأذن بعبادة غيره من خلقه وهو الله لا إله إلا هو، وهذا من أجل تنبيه أذهان قريش إلى خطأها الفاحش فى اصرارها على عبادة الأصنام إن القرآن نزل لهدايتهم وهداية غيرهم من بنى آدم على الإطلاق إلا أنهم هم أولاً وغيرهم ثانيا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ من سنة الله فى الأمم إذا أخرج الرسولَ قومُه مكرها انتقم الله تعالى له منهم فأهلكهم.

٢ ـ صدق وعد الله تعالى لرسوله فإنه ماتوفاه حتى أقر عينه بنصره على أعدائه.

٣ ـ وجوب التمسك بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً.

٤ ـ شرف هذه الأمة بالقرآن فإنْ أضاعَتْه اضاعها الله وأذلّها وقد فَعَلَ..

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾

---

(١) جائز أن يكون الكلام على ظاهره وأن النبي ﷺ قد جمع الله تعالى له العديد من الرسل والأنبياء في بيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج وسألهم فأجابوا بالحق وهو أن الله تعالى لم يأذن أبداً في عبادة غيره وجائز أن يكون في الكلام حذف دل عليه واقع الحياة إذ لا يسأل الأموات وإنما يسأل الأحياء وتقدير المحذوف واسأل أتباع من أرسلنا من قبلك وهم مؤمنو أهل الكتابين من أتباع موسى وعيسى كما هو في التفسير.

شرح الكلمات :

ولقد ارسلنا موسى بآياتنا : أي أرسلناه بالمعجزات الدالة على صدق رسالته .
إلى فرعون وملإه : أي وقومه من القبط .
إذ هم منها يضحكون : أي سخرية واستهزاء .
ومانريهم من آية : أي من آيات العذاب كالطوفان .
إلا هى أكبر من أختها : أي من قرينتها التى قبلها من الآيات .
وقالوا يا أيها الساحر : أي أيها العالم بالسحر المتبحر فيه .
بما عهد عندك : أي من كشف العذاب عنا إن آمنا .
إنا لمهتدون : أي إن كشفت عنا العذاب إنا مؤمنون .
إذا هم ينكثون : أي ينقضون عهدهم فلم يؤمنوا .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا﴾ إيراد هذا القصص هنا كان لمشابهة حال قريش بحال فرعون من جهة إذْ قال رجال قريش لم لايكون الرسول من ذوى المال والجاه كالوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود وقال فرعون : أم أنا خير من هذا الذى هو مهين أي حقيريعنى موسى عليه السلام . ومن جهة أخرى كان لتسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر كما صبر موسى وهو أحد أولى العزم الخمسة فقال تعالى : ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي بحججنا الدالة على صدق موسى فى رسالته إلى فرعون وقومه بأن يعبدوا الله ويتركوا عبادة غيره ، وان يرسلوا مع موسى بنى إسرائيل ليذهب بهم إلى أرض المعاد «فلسطين» فلما جاءهم قال إنى رسول رب العالمين جئتكم لآمركم بعبادة الله وحده وترك عبادة من سواه ، إذ لايستحق العبادة إلا الله . فطالبوه بالآيات على صدق دعواه فلما جاءهم بالآيات العظام فاجأوه بالضحك منها والسخرية والاستهزاء بها وهو معنى قوله تعالى : ﴿فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون﴾[1].

وقوله تعالى : ﴿وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها﴾[2] أي ومانرى فرعون وملأه من آية إلا هى أكبر دلالة على صدق موسى من الآية التى سبقتها . قال تعالى وأخذناهم بالعذاب لعلهم

---

(١) أي استهزاء وسخرية يوهمون أتباعهم ان تلك الآيات سحر وتخييل وأنهم قادرون على الإتيان بمثلها .
(٢) الأخت هنا بمعنى المشاكل والمجانسة النوعية كما يقال هذه صاحبة تلك أي قريبة منها في المعنى والكبر المراد به الكبر في الدلالة على صدق موسى وصحة دعوته إذ المعجزات تتفاوت في العظمة كما قال الشاعر:

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم   مثل النجوم التي يسرى بها الساري

يرجعون الى الحق فيؤمنون ويوحدون . وقالوا لموسى ياأيها الساحر[1] أى العليم بالسحر المتبحر فيه ظنا منهم أن المعجزات كانت عمل ساحرٍ . أدع لنا ربك[2] بما عهد عندك إنا لمهتدون أى سل ربك يرفع عنّا هذا العذاب كالطوفان والجراد والقمل والضفادع إنا مؤمنون وكانوا كلما نزل بهم العذاب سألوا موسى ووعدوه بالإيمان به إن رفع الله عنهم العذاب وفى كل مرة ينكثون عهدهم وهو قوله تعالى ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون﴾ أي ينقضون العهد ولايؤمنون كما واعدوا .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ الأيات دليل على صدق من جاء بها، ولكن لاتستلزم الإيمان ممن شاهدها .
٢ ـ قد يؤاخذ الله الأفراد أو الجماعات بالذنب المرة بعد المرة لعلهم يتوبون إليه .
٣ ـ حرمه خلف الوعد ونكث العهد، وأنهما من آيات النفاق وعلاماته .

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾

---

(١) هذا النداء في هذا الموقف كان نداء تكريم وتعظيم كعادتهم في توقير وتعظيم علمائهم السحرة لأنهم لما أصابهم من البلاء اعترفوا بمكانة موسى وسيادته وأيّه تكتب بدون ألف اتباعاً للمصحف وحذفت الألف نظراً إلى سقوطها في النطق للوصل والهاء حرف تنبيه أتي بها للفصل بين أي وبين نعتها في النداء.
(٢) هذا جرياً على اعتقاد الأقباط وهو ان لكل امة أو قبيلة رباً خاصاً بها لذا قالوا لموسى أدع لنا ربك.

شرح الكلمات :

ونادى فرعون فى قومه : أي نادى فيهم افتخاراً وتبجحاً بما عنده.

وهذه الأنهار تجرى من تحتى : أي من النيل تجرى من تحت قصورى.

أفلا تبصرون : أي عظمتى وما أنا عليه من الجلال والكمال.

أم أنا خير : أي من موسى الذى هو مهين ولايكاد يبين أي يفصح لِلثُّغة التى في لسانه.

فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب : أي هَلَّا ألقي عليه أسورة من ذهب من قِبَلِ الذى أَرسله.

أو جاء معه الملائكة مقترنين : أي أو جاءت الملائكة يتبع بعضها بعضا تشهد له بالرسالة.

فاستخف فرعون قومه : أي استفز فرعون قومه أى قال لهم ماحركهم به فخفوا لطاعته.

إنهم كانوا قوماً فاسقين : أي أطاعوه لكونهم قوما فاسقين ففسقهم هو علة طاعتهم.

فلما آسفونا انتقمنا منهم : أي فلما أغضبونا انتقمنا منهم.

فجعلناهم سلفا : أي فرعون وقومه سلفاً أي سابقين ليكونوا عبرة لمن بعدهم.

ومثلا للآخرين : أي يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل فعلهم.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى قصة موسى مع فرعون قال تعالى : ﴿ونادى فرعون[1] فى قومه﴾ لأجل الافتخار والتطاول إرهابا للناس قال ياقوم أليس لى ملك مصر، وهذه الأنهار أى أنهار النيل[2] تجرى من تحتى[3] أى من تحت قصوره، أفلا تبصرون فإذا ابصرتم فقولوا أنا خير[4] من هذا الذى هو مهين أى حقير يتولى الخدمة بنفسه، ولايكاد يبين أى يفصح بلسانه لعلة به وهى اللثغة أم هو؟. فلولا ألقى عليه أساورة[5] من ذهب أى هلاّ ألقى عليه من أرسله أساورة من ذهب أوبعث معه الملائكة مقترنين يشهدون له بالرسالة. قال تعالى : ﴿فاستخف قومه﴾ أى استفزهم بقوله هذا وحركهم فاطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين، والفاسق جبان خواف يستجيب بسرعة للباطل ان كان ممن يخاف عادة كالحاكم الظالم.

(١) قيل لما كشف الله عنهم العذاب بدعوة موسى أضمر فرعون وملؤه نكث العهد الذي أعطاه لموسى وهو انهم يهتدون فخاف فرعون أن يتبع قومه موسى فقام بهذه المناورة الرخيصة فنادى في قومه فجمعهم وقال فيهم ما ذكر تعالى.

(٢) هذه الأنهار هي فروع النيل وهي أربعة هي نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنّيس.

(٣) جائز أن تكون الأنهار له تسلط على مصابها فلذا هدد قومه بذلك.

(٤) أم أنا خير (أم) المنقطعة بمعنى بل للإضراب الانتقالي والتقدير بل انا خير والاستفهام تقريري أراد تفضيل نفسه على موسى عليه السلام والمهين: الذليل الذي لم يكن من بيوت الشرف والجاه.

(٥) قرأ نافع والجمهور اساورة جمع أسوار لغة في سوار، وقرأ حفص أسورة جمع سوار والمراد من قوله ألقى عليه أساوره يريد إن كان ملكاً أو رسولا كما يزعم لم لا يلقى إليه من السماء أساورة كالتي يلبسها ملوك فارس ومصر، أو تأتي معه الملائكة يشهدون له بالرسالة بما يدعى وكل هذا من باب دفع معرة الهزيمة التي لحقته.

وقـولـه تعالى : ﴿فلما آسفونا﴾ أى أغضبونا بنكثهم وكفرهم وكبريائهم وظلمهم أغرقناهم أجمعين أى فلم نبق منهم أحـداً والمـراد فرعون وجنوده. وقوله تعالى فجعلناهم سلفا[1] ومثلا للآخـرين أي جعلنـا فرعـون، ومن أغـرقنا معه من ملائه وجيوشيه سلفا أي سابقين ليكنوا عبرة لمن بعدهم، ومثلا يتمثل به من بعدهم فلا يقدمون على ما أقدموا عليه من الكفر والظلم والعلو والفساد، وأولى من يعتبر بهذا قريش التى نزل ليَنبّهها ويحرك كامن نفسها لتنتبه من غفلتها فتؤمن وتوحد فتنجو وتكمل وتسعد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ ذم الفخر والمباهاة إذ هما من صفات المتكبرين والظالمين. ٢ ـ الاحتقار للفقراء والازدراء بهم من صفات الجبارين الظلمة المتكبرين. ٣ ـ الفسق يجعل صاحبه مطية لكل ظالم أداة يسخره كما يشاء. ٤ ـ التحذير من غضب الرب تبارك وتعالى فإنه متى غضب انتقم فبطش.

۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات :

ولما ضرب ابن مريم مثلا : أي ولما جعل عيسى بن مريم مثلا، والضارب ابن الزبعرى.

إذا قومك منه يصدون : أي إذ المشركون من قومك يصدون أي يضحكون فرحاً بما سمعوا.

---

(١) السلف: جمع سالف كخدم جمع خادم وحرس جمع لحارس والسالف: من يسبق غيره في الوجود.

وقالوا ألهتنا خير أم هو؟ : أي ألهتنا التي نعبدها خير أم هو أي عيسى بن مريم فنرضى أن تكون آلهتنا معه.

ماضربوه لك إلا جدلاً : أي ماجعلوه أي المثل لك إلا خصومة بالباطل لِعِلمهم أن مالغير العاقل فلا يتناول اللفظ عيسى عليه السلام.

بل هم قوم خصمون : أي شديدو الخصومة.

إن هو إلا عبد أنعمنا عليه : أي ماهو أي عيسى إلا عبد انعمنا عليه بالنبوة.

وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل : أي لوجوده من غير أب كان مثلا لبنى إسرائيل لغرابته يستدل به على قدرة الله على مايشاء.

ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة : أي ولو شاء لأهلكناكم وجعلنا بدلكم ملائكة.

فى الأرض يخلفون : أي يعمرون الأرض ويعبدون الله فيها يخلفونكم فيها بعد إهلاككم.

وإنه لعلم للساعة : أي وإن عيسى عليه السلام لعلم للساعة تُعلم بنزوله إذا نزل.

فلا تمترن بها : أي لاتشكن فيها أى فى إثباتها ولا فى قربها.

واتبعون هذا صراط مستقيم : أي وقل لهم اتبعون على التوحيد هذا صراط مستقيم وهو الإسلام.

ولايصدنكم الشيطان : أي ولايصرفنكم الشيطان عن الإسلام.

إنه لكم عدو مبين : أي إن الشيطان لكم عدو بيِّن العداوة فلا تتبعوه.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون﴾ روى أن ابنَ الزبعرى قال لرسول الله ﷺ : لما نزلت آية الأنبياء إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون قال: أهذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال رسول الله ﷺ هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم، فقال ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة،أليست النصارى يعبدون المسيح واليهود يعبدون العزير وبنو مليح يعبدون الملائكة فإن كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم، ففرح بها المشركون وضحكوا وضجوا بالضحك مرتفعة أصواتهم بذلك ونزلت فى هذه الحادثة الآية : ﴿ولما ضرب بن مريم مثلا[1]﴾ أى ولما جعل ابن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا إذْ جعله مشابها للأصنام من حيث أن النصارى اتخذوه إلهاً وعبدوه من دون الله، وقال فإذاكان عيسى والعزير

(١) المراد بالمثل هنا الممثل به والمشبه به لأن ابن الزبعري شبه آلهتهم بعيسى في أنها عبدت من دون الله مثله فإذا كانوا في النار فعيسى كذلك.

والملائكة فى النار فقد رضينا أن نكون وآلهتنا معهم ففرح بها المشركون وصدوا[1] وضجوا بالضحك. وقالوا آلهتنا خير ام هو أي المسيح؟ قال تعالى لرسوله: ماضربوه لك إلاّ جدلا أى ماضرب لك ابن الزبعرى هذا المثل طلبا للحق وبحثا عنه وانما ضربه لك لأجل الجدل والخصومة بل هم قوم خصمون مجبولون على الجدل والخصام..

وقوله إن هو أي عيسى إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة والرسالة، وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل يستدلون به على قدرة الله وانه عز وجل على كل مايشاء قدير إذ خلقه من غير أب كما خلق آدم من تراب ثم قال له كن فكان.

وقوله تعالى: ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون﴾ أي ولونشاء لأهلكناكم يابنى آدم ولم نبق منكم أحداً. وجعلنا بَدَلَكُمْ فى الأرض ملائكة يخلفونكم فيها فيعمرونها ويعبدون الله تعالى فيها ويوحدونه ولايشركون به سواه.

وقوله ﴿وإنه[2] لعلم للساعة﴾ أي وإن عيسى عليه السلام لعلامة للساعة أي إن نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان علامة على قرب الساعة. فلا تمترن بها أى فلا تشكّن فى إتيانها فانها آتية وقريبة. وقوله واتبعون أى وقل لهم يارسولنا واتبعون على التوحيد وماجئتكم به من الهدى هذا صراط مستقيم أى الإسلام القائم على التوحيد الذى نزل به القرآن وجاء به رسول الله ﷺ. ولايصدنكم الشيطان عن الإسلام بوساوسه وإغوائه فيصرفكم عن التوحيد والإسلام إنه لكم عدو مبين وليس أدل على عداوته من انه اخرج آدم بإغوائه من الجنة حسداً له وبغيا عليه. فمثل هذا العدو لايصح أبداً الاستماع إليه والمشي وراءه واتباع خطواته. ومن يتبع خطواته يهلك.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ بيان أن قريشا أوتيت الجدل والقوة فى الخصومة.

٢ ـ ذم الجدل لغير إحقاق حق أو إبطال باطل وفى الحديث ماضل قوم بعد هُدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل.

٣ ـ شرف عيسى وعلو مكانته وأن نزوله إلى الأرض علامة كبرى من علامات قرب الساعة.

٤ ـ تقرير البعث والجزاء.

٥ ـ حرمة اتباع الشيطان لأنه يضل ولايهدى.

---

(١) قرأ نافع يصدون من صد يصد عن كذا إذا أعرض فيصدون بمعنى يعرضون عن القرآن ويقولون إن فيه تناقضاً من أجل فرية ابن الزبعرى، وقرأ حفص يصدون بكسر الصاد من الصد بمعنى الصخب والضجيج.

(٢) وجائز أن يكون الضمير في (وإنه) عائد إلى القرآن أو إلى المنزّل عليه محمد ﷺ إذ قال ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين السبابة والوسطى مشيراً إليهما. وما في التفسير مروي عن كبار التابعين مجاهد وقتادة وابن عباس الصاحب الجليل رضي الله عنهما ولذا قدمته في التفسير.

وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

ولما جاء عيسى بالبينات : أي ولما جاء عيسى بن مريم إلى بنى إسرائيل بالمعجزات والشرائع .

قال قد جئتكم بالحكمة : أي قال لبنى إسرائيل قد جئتكم بالنبوة وشرائع الإنجيل .

ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه : أي وجئتكم لأبين لكم ما اختلفتم فيه من أحكام التوراة من أمر الدين وغيره .

فاتقوا الله وأطيعون : أي خافوا الله وأطيعون فيما أبلغكموه عن الله من الأمر والنهى .

إن الله ربى وربكم فاعبدوه : أي إن الله إلهي والهكم فاعبدوه بحبه وتعظيمه والذلة له .

هذا صراط مستقيم : أي تقوى الله وطاعة الرسول وعبادة الله بما شرع هو الإسلام المعبر عنه بالصراط المستقيم .

فاختلف الأحزاب من بينهم : أي فى شأن عيسى أهو الله : أو ابن الله ، أو ثالث ثلاثة .

فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم : أي فويل للذين كفروا بما قالوا فى عيسى من الكذب والباطل .

هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغته وهم لايشعرون : أي ماينتظر هؤلاء الأحزاب مع إصرارهم على ماقالوه فى عيسى إلا الساعة أن تأتيهم بغته فجاة وهم لايشعرون .

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى جدل المشركين فى مكة وفرحهم بالباطل الذى قاله ابن الزبعرى فى شأن

الملائكة والعزير وعيسى عليهم السلام من أنهم فى النار مع من عبدوهم ، وبرأ تعالى الملائكة والعزيز وعيسى لأنهم ما أمروا الناس بعبادتهم حتى يؤاخذوا بها ، وانما امر بعبادتهم الشيطان فالشيطان ومن عبدوهم هم الذين فى النار. وذكر تعالى شرف عيسى ومكانته وانه عبد أنعم عليه بالنبوة وجعله مثلا لبنى إسرائيل يستدلون به على قدرة الله تعالى إذ خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم وإنما خلقه من تراب ذكر رسالة عيسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل ليكون ذلك موعظة لكفار مكة فقال تعالى ولما جاء عيسى بالبينات[1] أي جاء بنى إسرائيل مصحوبا بالبينات هى الإنجيل والمعجزات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وما إلى ذلك ، قال لهم قد جئتكم بالحكمة أى النبوة من عند الله ، ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه من أحكام التوراة وأمور الدين إذاً فاتقوا الله[2] يابنى إسرائيل أي خافواعقابه المترتب على معاصيه وأطيعون فيما أبلغكموه من أمر ونهى عن الله تعالى ، إن الله ربى وربكم أى إلهى وآلهكم لا إله إلا هو فاعبدوه بفعل محابه وترك مساخطه حبا فيه وتعظيماً له ورهبة ورغبة. وقوله ﴿هذا صراط مستقيم﴾ أى هذا الذى دعوتكم إليه من اتقاء الله ، وطاعة رسوله وعبادته وحده هو الطريق المستقيم الذى يفضى بسالكه إلى سعادة الدارين. قال تعالى : فاختلف[3] الأحزاب من بينهم أي من بين بنى إسرائيل من يهود ونصارى فقالت طائفةمن اليهود إفتراء أن عيسى ابن مريم ابن زنا وأمه بغي وقالوا ساحر. وقال النصارى : هو الله ، أو ابن الله ، أو ثالث ثلاثة.

قال تعالى ﴿فويل للذين ظلموا من عذاب أليم﴾ أي مؤلم فتوعدهم الرب تعالى بالويل الذى هو وادٍ يسيل فى جهنم بما يتجمع من صديد فروج أهل النار وأبدانهم من دماء وقروح وأوساخ وهو عذاب يوم القيامة الأليم توعد هؤلاء الظالمين بما قالوا فى عيسى عبد الله ورسوله عليه السلام وقال تعالى : ﴿هل[4] ينظرون إلا الساعة﴾ أي ماينظرون إلا الساعة لأنهم ماتابوا إلى الله ولا راجعوا الحق فيما قالوه فى عيسى بل أصروا : اليهود يصفونه بأخس الصفات والنصارى يصفونه بالألوهية التى هى حق الله رب عيسى ورب العالمين أن تأتيهم بغتة أي فجأة وهم لايشعرون لأنهم مشغولون بالذرة والهدرجين والاستعمار والتجارة والانغماس فى الشهوات كما هو واقع ومشاهد اليوم . وصدق الله العظيم.

---

(١) قال بن عباس يريد إحياء الموتى وإبراء الأسقام وخلق الطير والمائدة وغيرها والإخبار بكثير من الغيوب.

(٢) أي اتقوا الشرك ولا تعبدوا إلا الله وحده ومن قال هذا فكيف يكون إلهاً يعبد وهو عبد يعبد ويوحد ؟.

(٣) ومن اختلافاتهم التي نعيت عليهم اختلاف فرق النصارى من النسطورية والملكية والبعقوبية اختلفوا في عيسى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله وقالت الملكية ثالث ثلاثة أحدهم الله قاله الكلبي وغيره.

(٤) الجملة مستأنفة بيانياً لما تقدم مما يثير في النفس تساؤلا فكان الجواب أن العذاب آت وأهله ما ينظرون إلا الساعة وأهل العذاب هم المختلفون من أهل الكتاب والمشركين إذ الجميع ظلموا بالشرك والكفر والتكذيب والآية تدعوهم إلى التوبة لينجوا من العذاب الأليم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان رسالة عيسى إلى بنى إسرائيل.

٢ - وجوب التقوى لله وطاعة الرسول، وتوحيد الله فى عبادته.

٣ - بيان شؤم الخلاف، ومايجره من التوغل فى الكفر والفساد.

٤ - وعيد الله لليهود والنصارى الذين لم يدخلوا فى الإسلام بالويل وهو عذاب يوم أليم.

ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

شرح الكلمات :

الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو : أي الأحباء يوم إذ تأتيهم الساعة بغته.

إلا المتقين : فإن محبتهم تدوم لهم لأنها كانت في الله وطاعته.

ياعباد لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون : أي ينادون فيقال لهم لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون بل تحبرون أى تسرون وتكرمون.

يطاف عليهم بصحاف من ذهب : أي يطوف عليهم الملائكة بقصاع من ذهب وفيها الطعام وأكواب من ذهب فيها الشراب اللذيذ.

وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين : أي فى الجنة ماتشتهيه الأنفس تلذذاً به وتلذه الأعين نظراً إليه.

وتلك الجنة التى أورثتموها بما : أي يقال لهم وهذه هى الجنة التى أورثكموها الله بأعمالكم

كنتم تعملون   الصالحة التى هى ثمرة إيمانكم الصادق وإخلاصكم الكامل.

معنى الآيات :

مازال السياق فى ذكر أحداث الساعة قال تعالى : ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم[1] لبعض عدو إلا المتقين﴾ أي إذا جاءت الساعة الأخلاء أى الأحباء فى الدنيا يوم إذْ تأتى الساعة بعضهم لبعض عدو فتنقطع تلك الخلة والمودة وتصبح عداء لأنها كانت على معصية الله تعالى وقوله إلا المتقين أي الله عز وجل بفعل أوامره وترك نواهيه فإن مودتهم وخلتهم لاتنقطع لأنها كانت محبة فى الله وما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل يناديهم ربهم بقوله ياعبادى[2] لاخوف عليكم اليوم[3] ولا أنتم تحزنون، ويصفهم بقوله ﴿الذين آمنوا بآياتنا﴾ أي بالقرآن وكانوا مسلمين أى منقادين لله ظاهراً وباطناً، ويقول لهم ﴿ادخلوا الجنة أنتم وازواجكم تحبرون﴾ أي أنتم وزوجاتكم المؤمنات تفرحون وتسرون وقوله تعالى :﴿يطاف عليهم﴾ بيان لنعيم الجنة الذى ينعمون به وهو انه يطاف عليهم بصحاف من ذهب[4] وهى قصاع، فيها الذ الطعام وأشهاه، وأكواب من ذهب أيضا فيها الذ الشراب والأكواب جمع كوب وهو إناء لاعروة له ولاخرطوم ـ حتى يمكن الشرب منه من أى جهة من جهاته وفيها أي فى الجنة ماتشتهيه الأنفس من سائر المستلذات، وتلذ الأعين من سائر المرئيات ويقال لهم لكم ماتشتهون وانتم فيها خالدون لاتخرجون منها ولاتموتون فيها.

وقوله تعالى : ﴿وتلك الجنة[5]﴾ أي وهذه هى الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون من الصالحات والخيرات، ووجه الوراثة أن الله تعالى خلق لكل إنسان منزلين أحدهما فى الجنة والثانى فى النار فكل من دخل الجنة ورث منزل أحد دخل النار فهذا أوجه التوارث والباء فى بما

---

(١) ذكر القرطبي رواية عن النقاش ان هذه الآية نزلت في أمية بن خلف الجمحي وعقبة بن أبي معيط كانا خليلين وكان عقبة يجالس النبي ﷺ فقالت قريش قد صبأ عقبة فقال أمية له وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً ولم تتفل في وجهه ففعل عقبة عليهما لعائن الله ذلك فنذر النبي ﷺ قتله فقتله يوم بدر صبراً وقتل أمية في المعركة ففيهم نزلت هذه الآية والآية عامة في كل كافر وظالم.

(٢) قرأ نافع والجمهور ياعبادي بالياء بعد الدال وهي ياء المتكلم وقرأ حفص بحذفها تخفيفا لدلالة اللفظ والسياق عليها.

(٣) روي ان المنادي لما يقول ياعبادي لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون يرفع أهل العرصة رؤوسهم فيقول المنادي الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس أهل الأديان رؤسهم إلا المسلمين.

(٤) في الصحيحين عن حذيفة انه سمع رسول الله ﷺ يقول «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة». وفي صحيح مسلم ان أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون. قالوا فما بال الطعام؟ قال جشأ ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد والتكبير.

(٥) أشار إليها بلام البعد لعلوها وعظيم منازلها وسمو درجاتها.

كنتم تعملون سببة أى بسبب اعمالكم الصالحة التى زكت نفوسكم وطهرت أرواحكم فاستوجبتم دخول الجنة وارث منازلها.

وقوله تعالى : ﴿لكم فيها فاكهة كثيرة[1] منها تأكلون﴾ أي يقال لهم هذا إكراما لهم وإسعاداً.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ كل خلة يوم القيامة تنقطع إلا خلة كانت فى الله ولله سبحانه وتعالى، ولذا ينبغى أن تكون المودة فى الدنيا لله لا لغيره تعالى.

٢ ـ بيان فضل التقوى وشرف المتقين الذين يتقون الشرك والمعاصى.

٣ ـ بيان أن الرجل يجمع الله بينه وبين زوجته المسلمة فى الجنة.

٤ ـ بيان نعيم أهل الجنة من طعام وشراب وسائر المستلذات.

٥ ـ الإيمان والعمل الصالح سبب فى دخول الجنة كما أن الشرك والمعاصى سبب فى دخول النار.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾

شرح الكلمات :

إنّ المجرمين فى عذاب جهنم خالدون : أي أن الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصى فى جهنم خالدون لايخرجون ولايموتون.

لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون : أي لايخفف عنهم العذاب وهم فيه ساكتون سكوت يأس.

---

(١) الفاكهة قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الثمار كلها رطبها ويابسها، وبائعها يقال له الفاكهاني.

ونادوا يامالك ليقض علينا ربك : أي ونادوا مالكاً خازن النار قائلين له ليمتنا ربك.

قال إنكم ماكثون : أي أجابهم بعد ألف سنة مضت على دعوتهم بقوله إنكم ماكثون أي مقيمون فى عذاب جهنم دائما.

لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون : أي علة بقائكم أنا جئناكم بالحق على لسان رسولنا والحق التوحيد وعبادة الله بما شرع فكره أكثركم الحق.

أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون : أي أحكموا فى الكيد للنبى محمد ﷺ فإنا محكمون كيدنا فى إهلاكهم.

ورسلنا لديهم يكتبون : أي وملائكتنا من الحفظة يكتبون مايسرون ومايعلنون.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى الجنة ونعيمها ذكر فى هذه الآيات النار وعذابها وهذا هو الترغيب والترهيب الذى امتاز به اسلوب القران فى الدعوة إلى الله تعالى وهداية الخلق إلى الإصلاح قال تعالى ﴿إن المجرمين[1]﴾ أى الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها بالشرك والمعاصى هؤلاء في عذاب جهنم خالدون، لايفترعنهم العذاب أى لايخفف وهم فيه أى فى العذاب مبلسون أى ساكتون آيسون قانطون. وقال تعالى وماظلمناهم فى تعذيبنا لهم بهذا العذاب ولكن كانوا هم الظالمين، حيث دسوا أنفسهم بالشرك والمعاصى.

وقوله تعالى : ﴿ونادوا يامالك ليقضى[2] علينا ربك﴾ يخبر تعالى ان أصحاب ذلك العذاب الدائم الذى لايفتر فيخفف نادوا مالكاً خازن النار وقالوا له ليمتنا ربك فنستريح من العذاب. فأجابهم مالك بعد ألف[3] سنة قائلا قال أي ربى إنكم ماكثون أى فى عذاب جهنم، وعلل لهذا الحكم بالمكث أبداً فقال: لقد جئناكم بالحق أى أرسلنا إليكم رسولنا بالحق يدعوكم إليه وهو الإيمان والعمل الصالح المزكى للنفوس فكره أكثركم[4] ذلك فلم تؤمنوا ولم تعملوا صالحاً مؤثرين شهوات الدنيا على الآخرة فمتم على الشرك والكفر فهذا جزاء الكافرين.

---

(١) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأن سائلا بعد ان علم بحال أهل الإيمان والتقوى يسأل عن حال أهل الإجرام فأجيب بأن المجرمين الخ.

(٢) قال ابن مسعود وأبو الدرداء قرأ النبي ﷺ : ونادوا يا مال أي رخم الاسم المنادى بحذف الحرف الأخير منه وهو شائع في كلام العرب فيقال في مالك يا مال وفي حارث يا حار وفي فاطمة يافاطم قال الشاعر:

يا حار لا أرمين منكم بداهية   لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

وقال آخر:

أ فاطم مهلا بعض هذا التدلل   وان كنت قد أزمعت صَرْمي فأجملي

(٣) روى هذا الترمذي وهناك رواية أخرى في ذكر المدة التي يجابون بعدها.

(٤) الذين كرهوا الحق هم الرؤساء حفاظاً على مراكزهم وأما الاتباع فلم يكرهوا الحق ولكن اتبعوا الرؤساء فماتوا على الشرك والكفر فدخلوا النار معهم.

وقوله تعالى : ﴿أم أبرموا[1] أمراً فإنا مبرمون﴾ أي بل أبرم هؤلاء المشركون أمراً يكيدون فيه للرسول ودعوته فإن فعلوا ذلك فإنا مبرمون أي محكمون أمراً مضاف لهم بتعذيبهم وإبطال ما أحكموه من الكيد للرسول ودعوته . وقوله :﴿أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلى﴾ نسمع ذلك ورسلنا وهم الحفظة لديهم يكتبون مايقولون سراً وجهراً . روى أن ثلاثة نفر قالوا وهم تحت استار الكعبة فقال أحدهم أترون أن الله يسمع كلامنا؟ فقال أحدهم إذا جهرتم سمع ، وإذا اسررتم لم يسمع وقال الثانى ان كان يسمع إذا أعلنتم فإنه يسمع إذا أسررتم فنزلت ﴿أم يحسبون أنا لانسمع سرهم[2] ونجواهم بلى﴾ أي نسمع سرهم ونجواهم

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان عقوبة الإجرام على النفس بالشرك والمعاصى .
٢ ـ عذاب الآخرة لايطاق ولايقادر قدره يدل عليه طلبهم الموت ليستريحوا منه وماهم بميتين .
٣ ـ أكبر عامل من عوامل كراهية الحق حب الدنيا والشهوات البهيمية فى الأكل والشرب والنكاح هذه التى تُكَرّه إلى صاحبها الدين وشرائعه التى قد تقيد من الإسراف فى ذلك .

قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾

---

(١) أم المنقطعة تفسر ببل للاضراب الانتقالي والاستفهام محذوف الأداة تخفيفاً أي أأبرموا امراً والاستفهام تقريري والمراد بالأمر ما بيتونه من مكر بالرسول ﷺ وأجمعوا عليه وهو قتله ﷺ وذلك في دار الندوة فأبرم الله أمراً فأهلكهم فى بدر .

(٢) السر: ما يسرونه في أنفسهم من وسائل المكر بالنبي ﷺ وبالنجوى ما يتناجون به بينهم في ذلك بحديث خفي .

شرح الكلمات :

قل ان كان للرحمن ولد	: أي قل يارسولنا لهؤلاء المشركين الزاعمين أن الملائكة بنات الله إن كان للرحمن ولد فرضاً.
فأنا أول العابدين	: أي فأنا أول من يعبده تعظيما لله واجلالا ولكن لا ولد له فلا عبادة إذاً لغيره.
سبحان رب السموات	: أي تنزّه وتقدس
عما يصفون	: أي عما يصفون به الله تعالى من ان له ولداً وشركاء.
فذرهم يخوضوا ويلعبوا	: أي اتركهم يارسولنا يخوضوا فى باطلهم ويلعبوا فى دنياهم .
وهو الذى فى السماء إله	: أي معبود فى السماء.
وفى الأرض إله	: أي ومعبود فى الأرض.
وتبارك الذى له ملك السموات	: أي تعاظم وجل جلال الذى له ملك السموات.
وعنده علم الساعة	: أي عنده علم وقت مجيئها.

معنى الآيات :

سبق أن بكّت تعالى المشركين فى دعواهم أن الملائكة بنات الله وتوعدهم بالعذاب على قولهم الباطل وهنا قال لرسوله محمد ﷺ قل لهم إن كان للرحمن[1] ولد كما تفترون فرضا وتقديراً فأنا أول العابدين له[2] ولكن لم يكن للرحمن ولد. فلم أكن لأعبد غير الله تعالى ، هذا مادل عليه قوله تعالى : ﴿قل إنْ كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾. وقوله : ﴿سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون﴾ نزه تعالى نفسه وقدسها وهو رب السموات والأرض ورب العرش أي مالك ذلك كله وسلطانه عليه جميعه عما يصفه المشركون به من أن له ولداً وشركاء. وهنا قال تعالى لرسوله إذاأصروا على باطلهم من الشرك والعذاب على الله والافتراء عليه فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وهو يوم عذابهم المعد لهم وذلك يوم القيامة.

وقوله تعالى : ﴿وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله﴾ أي معبود فى السماء ومعبود فى الأرض أي معظم غاية التعظيم ، ومحبوب غاية الحب ومتذلل له غاية الذل فى الأرض والسماء وهو الحكيم فى صنعه وتدبيره العليم بأحوال خلقه فهل مثله تعالى يفتقر الى زوجة وولد تعالى

---

(١) يروى عن ابن عباس والحسن والسدي أن. إن ليست شرطية وهي نافية بمعنى ما وتقدير الكلام ما كان للرحمن ولد. وهنا تم الكلام ثم قال فأنا أول العابدين وهذا الرأي ضعيف ويتنافي مع السياق وما في التفسير هو الصواب.

(٢) له أي لذلك الولد لأن تعظيم الولد تعظيم للوالد إلا أنه لا ولد له ولا ينبغي له لغِنَاهُ المطلق.

الله عن ذلك علواً كبيراً. وقوله ﴿وتبارك الذى له ملك السموات والأرض ومابينهما، وعنده علم الساعة وإليه ترجعون﴾ أي تعاظم وجل جلاله وعظم سلطانه الذي له ﴿ملك السموات والأرض ومابينهما﴾ والدنيا والآخرة، وعنده علم الساعة وإليه ترجعون أن يكون له ولد ولم تكن له صاحبة، وهو على كل شيء قدير.[1]

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - مشروعية التلطف فى الخطاب والتنزل مع المخاطب لإقامة الحجة عليه كقوله تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدىً أو فى ضلال مبين﴾ وكما هنا قل إنْ كان للرحمن ولد من باب الفرض والتقدير فأنا أول العابدين له ولكن لا ولد له فلا أعبد غيره سبحانه وتعالى.

٢ - تهديد المشركين بعذاب يوم القيامة.

٣ - إقامة البراهين على بطلان نسبه الولد إلى الله تعالى.

وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات:

ولايملك الذين يدعون : أي يعبدونهم.

من دونه : أي من دون الله.

الشفاعة : أي لأحدٍ.

إلا من شهد بالحق : أي لكن الذى شهد بالحق فوحد الله تعالى على علم هذا الذى تناله شفاعة الملائكة والأنبياء.

فأنى يؤفكون : أي كيف يصرفون عن الحق بعد معرفته.

وقيله : أي قول النبى يارب إن هؤلاء.

---

(١) تعاظم وتسامى عما يصفه به المشركون من الشريك والصاحبة والولد وتبارك هو خبر لفظا وإنشاء معنىً إذ هو لفظ أريد به المدح العظيم لذي الخير العظيم.

فاصفح عنهم : أي أعرض عنهم .
وقل سلام فسوف : أي امرى سلام منكم ، فسوف تعلمون عاقبة كفركم .

معنى الآيات :

لما أعلم تعالى فى الآية السابقة أن رجوع الناس إليه يوم القيامة ، وكان المشركون يزعمون ان آلهتهم من الملائكة وغيرها تشفع لهم يوم القيامة واتخذوا هذا ذريعة لعبادتهم فأعلمهم تعالى فى هذه الآية (٨٦) أن من يدعونهم بمعنى يعبدونهم من الأصنام والملائكة وغيرهم[(١)] من دون الله لايملكون الشفاعة لأحد ، فالله وحده هو الذى يملك الشفاعة ويُعطيها لمن يشاء هذا معنى قوله تعالى : ﴿ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ وقوله تعالى ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ أي استثنى الله تعالى أن من شهد بالحق أي بأنه لا إله إلا الله ، وهو يعلم ذلك علما يقينا فهذا قد يشفع له الملائكة أو الأنبياء فقال عز وجل ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾[(٢)] بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم فالموحدون تنالهم الشفاعة بإذن الله تعالى . وقوله تعالى ﴿ولئن سألتهم﴾ أي ولئن سألت هؤلاء المشركين من خلقهم لأجابوك قائلين الله . فسبحان الله كيف يقرون بتوحيد الربوبية وينكرون توحيد العبادة فلذا قال تعالى : ﴿فأنى يؤفكون[(٣)]﴾ أي كيف يصرفون عن الحق بعد معرفته يعرفون أن الله هو الخالق لهم ويعبدون غيره ويتركون عبادته .

وقوله ﴿وقيله[(٤)] يارب إن هؤلاء قوم لايؤمنون﴾ أي ويعلم تعالى قيل رسوله وشكواه وهي يارب إن هؤلاء قوم لايؤمنون لما شاهد من عنادهم وتصلبهم شكاهم الى ربه تعالى فأمره ربه عز وجل أن يصفح[(٥)] عنهم أي يتجاوز عما يلقاه منهم من شدة وعنت وأن يقول لهم سلام وهو سلام متاركة لاسلام تحية وتعظيم أى قل لهم أمرى سلام . فسوف تعلمون[(٦)] عاقبة : هذا الإصرار على الكفر والتكذيب فكان هذا منه تهديداً لهم بذِكر ماينتظرهم من أليم العذاب إن ماتوا على كفرهم .

---

(١) مثل عيسى والعزيز.

(٢) وهم يعلمون الجملة حالية وفي هذا دليل على ان من لم يفهم معنى لا إله إلا الله ويقولها لا تنفعه ولا ينال بها الشفاعة يوم القيامة إذ لابد من فهمه ماذا نفى وماذا أثبت ولذا إيمان المقلد اختلف في صحته أهل العلم.

(٣) أنى اسم استفهام عن المكان فمحله نصب على الظرفية أي إلى أي مكان يصرفون؟ وماضي يؤفكون افك يأفك افكاً على وزن ضرب يضرب ضربا وأفكه كفربه.

(٤) هذا على قراءة نافع وهي نصب قيله أما على قراءة حفص فقيله مجرور عطفاً على قوله وعنده علم الساعة وعلم قيل رسوله كذا. وهو (قيل) مصدر قال كالقول، وأصله قول فعل بمعنى مفعول كذبح بمعنى مذبوح والضمير في قيله يعود إلى النبي ﷺ إذ هو القائل يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون لطول ما دعاهم وهو معرضون عن الحق مصرون على الكفر.

(٥) مثل هذا (فاصفح وقل سلام) منسوخ بآيات القتال التي نزلت بالمدينة النبوية بعد الهجرة.

(٦) قرأ نافع تعلمون بالتاء وقرأ حفص والجمهور يعلمون بالياء فالأول مما أمر الله تعالى رسوله ان يقوله للمشركين، والثاني على أنه وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ بانه ينتقم من المكذبين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ لا يملك الشفاعة يوم القيامة أحدٌ إلا الله تعالى فمن أذن له شفع ومن لم يأذن له لا يشفع، ولا يُشَفَّعُ إلا لأهل التوحيد خاصة أما أهل الشرك والكفر فلا شفاعة لهم.

٢ ـ مشركو العرب على عهد النبوة موحدون فى الربوبية مشركون فى العبادة.

٣ ـ مشروعية الصفح والتجاوز عند العجز عن إقامة الحدود وإعلاء كلمة الله تعالى.

سُورَةُ الدُّخَانِ

مكيــة وآياتهـــا تسـع وخمسـون آيـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

حم : هذا أحد الحروف المقطعة تكتب هكذا حم وتقرأ هكذا خَامِيمْ .

والكتاب المبين : أي القرآن المظهر للحلال والحرام فى الأقوال والأعمال والاعتقادات .

إنّا أنزلناه فى ليلة مباركة : أي فى ليلة القدر من رمضان .

فيها يفرق كل أمر حكيم : أي يفصل كل أمر محكم من الآجال والأرزاق وسائر الأحداث.

أمراً من عندنا : أي فيها في ليلة القدر يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا أى أمرنا بذلك أمراً من عندنا.

إنّا كنا مرسلين رحمة من ربك : أي إنّـا كنا مرسلين الرسل محمداً ومن قبله رحمة من ربك بالمرسل إليهم من الأمم والشعوب.

إنه هو السميع العليم : أي السميع لأصوات مخلوقاته العليم بحاجاتهم.

إنْ كنتم موقنين : أي بأنه رب السموات والأرض فآمنوا برسوله واعبدوه وحده.

بل هم فى شك يلعبون : أي فليسوا بموقنين بل هم فى شك من ربوبية الله تعالى لخلقه وإلا لعبدوه وأطاعوه بل هم فى شك يلعبون بالأقوال والأفعال لايقين لهم فى ربوبية الله تعالى وإنما هم مقلدون لآبائهم فى ذلك.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿حم﴾[1] هذا أحد الحروف المقطعة وهو من المتشابه الذى يفوض فهم معناه الى منزلـه فيقول: المؤمن: الله أعلم بمراده به، وقد ذكرنا له فائدتين جليلتين تقدمتا غير مامرة الأولى: أنه لما كان المشركون يمنعون سماع القرآن خشية التأثر به جاءت هذه الفواتح بصيغة لم تعهـدها العرب فى لغتها فكان إذا قرأ القارىء رافعا صوته مادّاً به هذه الحروف يستوقف السامع ويضطره إلى أن يسمع فإذا سمع تأثر واهتدى غالباً وأعظم بهذه الفائدة من فائدة والثانية: أنه لما ادعى العرب أن القرآن ليس وحيا إلهيا وإنما هو شعر أو سحر أو قول الكهان أو اساطير تحداهم الله تعالى بالإتيان بمثله فعجزوا فتحداهم بعشر سور فعجزوا فتحداهم بسورة فعجزوا فأعلمهم ان هذا المعجز انما هو مؤلف من مثل هذه الحروف حمٓ طسٓمٓ آلم فألفوا نظيره فعجزوا فقامت عليهم الحجة لعجزهم وتقرر أن القرآن الكريم كلام الله ووحيه أوحاه إلى رسوله ويؤكد هذه الفائدة أنه غالبا إذا ذكرت هذه الحروف فى فواتح السور يذكر القرآن بعدها نحو طس تلك آيات القرآن، حم والكتاب المبين، آلم تلك آيات الكتاب الحكيم.

قولـه تعـالـى ﴿والـكـتـاب الـمـبـين﴾ هذا قسم أقـسـم الله تعـالـى بالـقـرآن تـنـويهـا بشـأنـه ولله أن يقـسـم بمـا يشـاء فلا حجـر عليه وإنما الحجر على الإنسان أن يحلف بغير ربه عز وجل، والمراد من الكتاب المبين المقسم

---

(١) ورد في فضل هذه السورة عدة أحاديث ضعيفة ولكثرتها قد ترتفع إلى درجة الحسن منها: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة.

به القرآن العظيم ، وقوله : ﴿إنا أنزلناه﴾ أى القرآن ﴿فى ليلة مباركة﴾ أي كثيرة البركة والخير وهى ليلة القدر[١] والتى هى خير من الف شهر. وقوله ﴿إنا كنا منذرين﴾ ، ولذلك أرسلنا الرسول وأنزلنا القرآن لننذر الناس عذاب يوم القيامة حيث لاينجى منه إلا الإيمان والعمل الصالح ، ولايعرفان إلا بالوحى فكان لابد من الرسول الذى يوحى إليه ولابد من الوحى الحامل لبيان الإيمان وأنواع العمل الصالح . وقوله فيها يفرق كل أمر حكيم أى فى تلك الليلة المباركة يفصل كل أمر محكم مما قضى الله أن يتم فى تلك السنة من أحداث فى الكون يؤخذ ذلك من كتاب المقادير فيفصل عنه وينفذ خلال السنة من الموت والحياة والغنى والفقر والصحة والمرض والتولية والعزل فكل أحداث تلك السنة تفصل من اللوح المحفوظ ليتم احداثها فى تلك السنة حتى إن الرجل ليتزوج ويولد له وهو فى عداد من يموت فلا تنتهى السنة إلا وقد مات وقوله : ﴿أمراً من[٢] عندنا إن كنا مرسلين﴾ أي كان ذلك أمراً من عندنا أمرنا به .

وقوله : إنا كنا مرسلين أى الرسل محمداً فمن قبله من الرسل رحمة من ربك بالناس المرسل إليهم إنه هو السميع لأقوالهم وأصواتهم العليم بحاجاتهم ، فكان ارسال الرسل رحمة من ربك أيها الرسول فاحمده واشكره فإنه أهل الحمد والثناء وقوله : ﴿رب السموات والأرض ومابينهما﴾ أي خالق ومالك السموات والأرض ومابينهما إن كنتم موقنين ، أي بأنه رب السموات والأرض ومابينهما فاعبدوه وحده فانه لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين . وقوله تعالى : ﴿بـل هم فى شك يلعبون﴾ دال على أن إقرارهم بأن الله رب السموات ورب الخلق عندما يسألون لم يكن عن يقين إذ لو كان على يقين لما أنكروا توحيد الله وكفروا به إذاً فهم فى شك يلعبـون بالأقـوال فقط كما يلعبون بالأفعال، لايقين لهم فى ربوبيته تعالى وانما هم مقلدون لآبائهم فى ذلك.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان فضل ليلة القدر[٣] وأنها فى رمضان .

---

(١) شاهده قوله تعالى : ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ وقوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن حيث ابتدأ نزوله في غار حراء في شهر رمضان وجائز أن يكون نزل كله في ليلة القدر من أم الكتاب إلى بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل منجماً فتم نزوله خلال ثلاث وعشرين سنة .

(٢) نصب أمراً من عندنا على الحال، والأمر الحكيم المشتمل على الحكمة ورحمة مفعول لأجله من إنا كنا مرسلين .

(٣) رويت آثار وأحاديث يزعم أصحابها أن الليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان وردها أهل العلم قال ابن العربي : ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان هو باطل لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع : شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن فنص على أن ميقات نزوله في رمضان ثم عين زمانه من الليل ها هنا بقوله في ليلة مباركة فمن زعم انه في غيره فقد أعظم الفرية على الله . وليس في ليلة النصف من شعبان حديث واحد يعول عليه لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها فلا تلتفتوا إليها .

٢ ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر وإثبات اللوح المحفوظ.
٣ ـ ارسال الرسل رحمة من الله بعباده، فلم يكن زمن الفترة وأهلها أفضل من زمن الوحي.
٤ ـ لم يكن إفراد المشركين بربوبية الله تعالى لخلقه عن علم يقيني بل هم مقلدون فيه فلذا لم يحملهم على توحيد الله في عبادته، وهذا شأن كل علم أو معتقد ضعيف.

فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

فارتقب : أي انتظر.

بدخان مبين : أي هو ماكان يراه الرجل من قريش لشدة الجوع بين السماء والأرض من دخان.

يغشى الناس : أي يغشى أبصارهم من شدة الجهد الناتج عن الجوع الشديد.

ربنا اكشف عنا العذاب : أي ياربنا إن كشفت عنا العذاب آمنا بك وبرسولك.

أنى لهم الذكرى : أي من أى وجه يكون لهم التذكر والحال أنه قد جاءهم رسول مبين فتولوا عنه وقالوا معلم مجنون.

معلم مجنون : أي أنه يعلمه القرآن بشر مجنون أي مختلط عليه أمره غير مدرك لما يقول.

إنكم عائدون : أي إلى الكفر والجحود.

البطشة الكبرى : أي الأخذة القوية التى أخذناهم بها يوم بدر حيث قتلوا وأسروا.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿فارتقب﴾[1] الآية نزلت بعد أن دعا رسول الله ﷺ على قريش يوم كثر استهزاؤهم به وسخريتهم منه وبما جاء به من الدين الحق فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف اي

(١) ارتقب معناه انتظر يا رسولنا يوم تأتي السماء الخ. وقيل ارتقب معناه احفظ لأن الرقيب يطلق على الحافظ.

سبع سنين من القحط والجدب فأمره ربه أن ينتظر ذلك فقال له فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم، واستجاب تعالى لرسوله وأصاب قريشاً بقحط وجدب ماتت فيه مواشيهم وأصابهم جوع أكلوا فيه العهن[1] وشربوا فيه الدم، وكان الرجل يرفع رأسه إلى السماء فلا يرى إلا دخانا[2] يغشى بصره من شدة الجوع، حتى ضرعوا إلى الله وبعثوا الى الرسول يطلبون منه أن يدعو الله تعالى أن يرفع عنهم هذا العذاب وهو معنى قوله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ أي برسولك وبما جاء به من الهدى والدين الحق.

وقوله تعالى: ﴿أنّى لهم[3] الذكرى وقد جاءكم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾ أي ومن أين يأتيهم التذكر فينيبوا إلى ربهم ويسلموا له، والحال أنه قد جاء رسول مبين للحق مظهر له فعرفوه أنه رسول حق وصدق ثم تولوا عنه أى أعرضوا عنه وعما جاء به وقالوا معلم أي[4] هو رجل يعلمه غيره الذى يقوله ولم يكن رسولاً وقالوا مجنون فلذا تذكرهم وتوبتهم مستبعدة جداً. وقوله تعالى: إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون وفعلاً كشف الله عنهم عذاب المخمصة ونزل الغيث بديارهم وسعدت بلادهم بعد شقاء دام سبع سنوات، وعادوا إلى الشرك وحرب الإسلام والمسلمين.

وقوله تعالى: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنّا منتقمون[5]﴾ أى وارتقب يارسولنا يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾، وكان ذلك ببدر حيث انتقم الله منهم فقتل رجالهم بل صناديدهم وأسر من أسر منهم، وكانت بطشة لم تعرفها قريش قط.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ صدق وعد الله لرسوله واستجابة دعائه ﷺ.

٢ ـ الإيمان عند معاينة العذاب لايجدي ولاينفع.

(١) العهن الصوف يصبغ بالدم ويشوى ويؤكل لشدة الجوع الذي أصابهم.

(٢) لا منافاة بين هذا الدخان الثابت بالقرآن والسنة، وبين الدخان الذي هو من أشراط الساعة والثابت بالسنة الصحيحة في حديث مسلم وهو انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر ـ الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

(٣) أنى اسم استفهام الأصل أنه يستفهم به عن المكان ويتوسع فيه فيستفهم به عن الحال كما هي هنا والاستفهام هنا إنكاري أي كيف يتذكرون وهم في شك يلعبون وجملة وقد جاءهم رسول حالية فهي في محل نصب.

(٤) أي لم يكتفوا بالإعراض بل زادوا عليه الافتراء والسب إذ قالوا معلم مجنون.

(٥) يقال انتقم منه أي عاقبه والنقمة بالكسر والفتح والجمع نقم كعنب ونقمات ككلمات والظرف (يوم) متعلق بجملة (إنا منتقمون) أي منتقمون يوم البطش.

٣ - بيان ماقابلت به قريش دعوة الإسلام من جحود وكفران.
٤ - إخبار القرآن بالغيب وصدقه فى ذلك آية أنه وحى الله وكلامه تعالى.

۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون : أي ولقد اختبرنا قبلهم أي قبل كفار قريش قوم فرعون من الأقباط.

وجاءهم رسول كريم : أي موسى بن عمران صلوات الله عليه وسلامه.

أن أدوا إلي عباد الله : أي ادفعوا إلي عباد الله بنى إسرائيل وارسلوهم معى.

إنى لكم رسول أمين : أي انى رسول الله اليكم أمين على وحيه ورسالته.

وأن لاتعلوا علي الله : أي وبأن لاتطغوا على الله فتكفروا به وتعصوه.

إنى آتيكم بسلطان مبين : أي بحجة واضحة تدل على صدقى فى رسالتى وما اطالبكم به.

وإنى عذت بربى وربكم أن ترجمون أى وانى قد اعتصمت بربى وربكم واستجرت به ان ترجمونى

وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون : أي إن لم تصدقونى فيما جئتكم به فخلوا سبيلي واتركوني.

فدعا ربه : أي فلما كذبه فرعون وقومه وهموا بقتله نادى ربه يارب.

إن هؤلاء قوم مجرمون : أي إن هؤلاء قوم مجرمون بالكفر والظلم.

فأسر بعبادى ليلا إنكم متبعون : أي فأجابه ربه بأن قال له فأسر بعبادى أي بنى إسرائيل ليلاً إن

فرعون وجنده متبعوكم ليردوكم.

وأترك البحر رهواً : أي وإذا اجتزت أنت وقومك البحر فاتركه رهواً ساكناً كما هو حين دخلته مع بنى إسرائيل.

إنهم جند مغرقون : أي إن فرعون وقومَه جندٌ واللّهُ مغرقُهم في البحر.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ولقد فتنا[1]﴾ هذا شروع فى قصة موسى مع فرعون لوجود تشابه بين أكابر مجرمى قريش وبين فرعون فى ظلمه وعلُوه، والقصد تسلية الرسول ﷺ، وتخفيف ألمه النفسى من جَرَّاءِ مايلاقى من أكابر مجرمى قريش فى مكة فقال تعالى : ﴿ولقد فتنا قبلهم﴾ أي قبل كفار قريش قوم فرعون من القبط وجاءهم رسول كريم أى على ربه وعلى قومه من بنى إسرائيل هو موسى بن عمران عليه السلام، أن أدوا أي بأن أدوا أى ادفعوا إلى عباد الله بنى إسرائيل وأرسلوهم معى إنى لكم رسول أمين على رسالتى صادق فى قولي، وبأن لاتعلوا على الله أي بأن لاتطغوا على الله فتكفروا به وتعصوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه. إنى آتيكم بسلطان مبين أي بحجة بينة واضحة على صحة ما أطالبكم به. وإنى عذت[2] بربى وربكم أى استجرت وتحصنت أن ترجمون بأقوالكم[3] أو أعمالكم، وإن لم تؤمنوا أى لم تصدقوا بما جئتكم به فاعتزلون ولما أبوا إلا أذاه وأرادوا قتله دعا ربه قائلا رب إن هؤلاء قوم مجرمون كفرة ظلمة يعنى فرعون وملأه فأوحى إليه ربه تعالى فأسر[4] بعبادى أي بنى إسرائيل إذ هم المؤمنون وغيرهم من القبط كافرون ليلا في آخر الليل وأعلمه أن فرعون وجنوده متبعون لهم ليردوهم وينكلوا بهم. وقوله تعالى : ﴿واترك البحر[5] رهواً إنهم[6] جند مغرقون﴾. إنه لما ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق فلقتين ودخل بنو إسرائيل البحر فاجتازوه أراد موسى أن يضرب البحر ليلتئم كما كان حتى لايدخله فرعون وجنده فيدركوهم فقال له ربه تعالى أترك البحر رهواً أى ساكنا كما كان حين دخلتموه حتى إذا دخل فرعون وجنوده اطبقناه عليهم إنهم جند مغرقون وهذا الذى حصل فنجى[7] الله موسى وبنى إسرائيل وأغرق فرعون وجنوده أجمعين.

---

(١) فتنا بمعنى أبتلينا وهو الأمر بالإيمان والطاعة أي عاملتهم معاملة المختبر لهم وذلك ببعث موسى وأخيه هارون عليهما السلام.

(٢) كأنهم هددوه بالقتل فلذا استجار بالله تعالى.

(٣) الرجم بالقول الكذب على الشخص والافتراء عليه كذباً والرجم بالاعمال معناه القتل بالحجارة.

(٤) قرأ نافع وغيره بهمزة وصل وقرأ حفص وغيره بهمزة قطع لأن الفعل ثلاثيا نحو سرى يسري سرياً وأسرى يسري إسراء.

(٥) المراد بالبحر هنا بحر القلزم المعروف اليوم بالبحر الأحمر ورهوا منصوب على الحال والرهوة الفجوة الواسعة مأخوذ من (رها) إذا فتح بين رجليه ،ومعناه: أترك البحر مفتوحاً ساكناً حتى يدخل فرعون وجنده فيهلكون.

(٦) جملة إنهم جند مغرقون تعليلية ومغرقون مقضياً ومحكوم بإغراقهم.

(٧) وكانت هذه النجاة يوم عاشوراء وهو عاشر شهر المحرم لحديث صيام اليهود فيه لأن الله أنجا فيه موسى وبني إسرائيل فصامه الرسول ﷺ وأمر بصيامه وقال نحن أولى بموسى منهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ وجود تشابه كبير بين فرعون وكفار قريش فى العلو والصلف والكفر والظلم .

٢ ـ مشروعية الاعتبار بما سلف من أحداث فى الكون وَالائتساء بالصالحين .

٣ ـ وجوب الاستعاذة بالله تعالى والاستجارة به إذ لامجير على الحقيقة إلا هو ولا واقي سواه .

٤ ـ مشروعية دعاء الله تعالى على الظالمين وسؤاله النصر عليهم والنجاة منهم .

كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات :

كم تركوا من جنات : أي بساتين وحدائق غناء .

ومقام كريم : أي مجلس حسن ومحافل مزينة ومنازل حسنة .

ونعمة كانوا فيها فاكهين : أي نضرة عيش ولذاذته كانوا فيها ناعمين .

وأورثناها قوما آخرين : أي بنى إسرائيل .

فما بكت عليهم السماء والأرض : أي لهوانهم على الله بسبب كفرهم وظلمهم .

وماكانوا منظرين : أي ممهلين حتى يتوبوا .

من العذاب المهين : أي قتل ابنائهم واستخدام نسائهم .

ولقد اخترناهم على علم على العالمين : أي اخترناهم على علم منا على عالمى زمانهم من الإنس والجن . وذلك لكثرة الأنبياء منهم وفيهم .

وآتيناهم من الآيات مافيه بلاء مبين	أعطيناهم من النعم مافيه بلاء مبين أى واضح كانفلاق البحر والمنّ والسلوى.	

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى قصة موسى عليه السلام مع عدو الله فرعون عليه لعائن الرحمن قال تعالى : ﴿كم تركوا من[1] جنات﴾ أي كم ترك فرعون وجنوده الذين هلكوا معه في البحر أي تركوا كثيراً من الجنات اى البساتين والعيون الجارية فيها سقي الزروع ، ومقام كريم أي منازل حسنة ومحافل مزينة بأنواع الزينة والمحفل مكان الاحتفال ، ونعمه[2] أي متعة عظيمة كانوا فيها فاكهين أي ناعمين مترفين وقوله تعالى : كذلك[3] هكذا كانت نعمتهم فسلبناهما منهم لكفرهم بنا وتعاليهم على شرائعنا وأوليائنا ، ﴿وأورثناها قوما آخرين[4]﴾ هم بنو إسرائيل إذ رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون. وقوله تعالى : ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ ، لأنهم كانوا كافرين لم يعملوا على الأرض خيراً ولم يعرج إلى السماء من عملهم خيرٌ فلمَ يُبكون إنما يبكى المسلم تبكيه الأرض التى كان يسجد عليها ويعبد الله تعالى فوقها وتبكيه السماء التى كان كل يوم وليلة يصعد إليها عمله الصالح ، وقوله وماكانوا منظرين أي ممهلين بل عاجلهم الرب بالعقوبة ، ولم يمهلهم علهم يتوبون لعلم الله تعالى بطبع قلوبهم وكم واعدوا موسى إن رُفع عنهم العذاب يؤمنون ، وما آمنوا. وقوله تعالى ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين هذه بعض أياديه على بنى إسرائيل وهى أنه نجاهم من العذاب المهين الذى كان فرعون وقومه يصبونه عليهم إذ كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم للخدمة والامتهان وأى عذاب مهين أكبر من هذا؟ من فرعون أي من عذاب فرعون الذى كان ينزله بهم إنه كان عالياً من المسرفين أي كان فرعون جباراً طاغياً من المسرفين فى الكفر والظلم. وقوله تعالى ﴿ولقد اخترناهم﴾ أي بنى إسرائيل على علم أي منا على العالمين أى عالمى زمانهم من الثقلين الإنس والجن ، وقوله تعالى : ﴿وآتيناهم﴾ أي اعطيناهم من الآيات ﴿مافيه بلاء مبين[5]﴾ أي اختبار عظيم ومن تلك الآيات انفلاق البحر،

---

(١) كم للتكثير كرب للتقليل غالبا.

(٢) النعمة بفتح النون التنعيم يقال نعمه فتنعم. والنعمة بالكسر اليد والصنيعة والمنّة وما أنعم به على المرء ومثلها النعماء والنعمى.

(٣) كذلك قيل الأمر كذلك فيوقف على كذلك وقيل كذلك أفعل بمن عصاني او كذلك كان امرهم.

(٤) يرى بعضهم أن المراد بقوم آخرين أنهم غير بني اسرائيل وإنما هم من الأقباط أهل مصر انفسهم لأن بني إسرائيل لم يعودوا إلى مصر بعد أن خرجوا منها مستدلاً بأن الله تعالى قال ﴿ولقد نجينا بني اسرائيل﴾ ولم يقل (ولقد نجيناهم) فيعود الضمير على بني اسرائيل لكن في آية الشعراء قال تعالى ﴿كذلك وأورثناها بني اسرائيل﴾ فهذا نص صريح وطريق الجمع أن يقال ان بني إسرائيل بعد موت موسى وانتصارهم على الكنعانيين والعمالقة وإقامة دولة في فلسطين دخلوا مصر وحكموها اما على عهد سليمان فإنهم حكموا غالب المعمورة وهذا وجه الجمع والله أعلم.

(٥) في هذا البلاء المبين أربعة أوجه ذكرها القرطبي وهي نعمة ظاهرة ـ عذابه شديد ـ اختبار يتميز به الكافر من المؤمن ـ ابتلاء بالشدة والرخاء.

وتظليل الغمام لهم والمن والسلوى فى التيه الى غير ذلك مما هو اختبار عظيم لهم أيشكرون أم يكفرون .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان سنة الله فى سلب النعم وإنزال النقم بمن كفر نعم الله ولم يشكرها فعصى ربه وأطاع هواه ونفسه فترك الصلاة واتبع الشهوات وترك القرآن واشتغل بالأغانى ، وأعرض عن ذكر الله واقبل على ذكر الدنيا ومفاتنها .

٢ ـ بيان هَوَان أهل الكفر والفسق على الله وعلى الكون كله ، وكرامة أهل الإيمان والتقوى على الله وعلى الكون كله حتى ان السماء والأرض تبكيهم إذا ماتوا .

٣ ـ ذم العلو فى الأرض وهو التكبّر والإسراف فى كل شيء .

٤ ـ بيان أن الله يبتلى أي يختبر عباده بالخير والشر .

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا
نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمۡ
خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ
﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾
مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى
عَن مَّوۡلٗى شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾

شرح الكلمات :

إنّ هؤلاء : أي المشركين من قريش .

إن هي إلا موتتنا الأولى : أي لاحياة بعدها ولاموت وهذا تكذيب بالبعث الآخر .

ومانحن بمنشرين	: أي بمبعوثين أحياء من قبورنا بعد موتنا.
فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين	: أي فأت يامحمد بآبائنا الذين ماتوا إن كنت صادقاً فى أننا بعد موتنا وبلانا نبعث أحياء من قبورنا.
أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم	: أي هؤلاء المشركون خير فى القوة والمناعة أم قوم تبع والذين من قبلهم كعاد.
أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين	: أي انزلنا بهم عقوبتنا فأهلكناهم إنهم كانوا قوما مجرمين.
لاعبين	: أي عابثين بخلقهما لا لغرض صالح.
ماخلقناهما إلا بالحق	: أي إلا لأمر اقتضى خلقهما وهو أن أذكر فيهما وأشكر.
إنَّ يوم الفصل ميقاتهم أجمعين	: أي إن يوم القيامة الذى يفصل فيه بين الخلائق ويحكم ميعادهم أجمعين حيث يجمعهم الله فيه.
يوم لايغنى مولى عن مولى شيئاً	: أي يوم لايكفى قريب قريبه بدفع شيء من العذاب عنه.
ولاهم ينصرون	: أي لاينصر بعضهم بعضا.
إلا من رحم الله	: أي لكن من رَحِمَهُ الله فإنه يدفع عنه العذاب وينصر.
إنه هو العزيز الرحيم	: أي الغالب المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى طلب هداية قوم النبى محمد ﷺ فما ذكر قصص موسى وفرعون إلا تنبيها وتذكيراً لعلهم يتذكرون فقال تعالى : ﴿إن هؤلاء﴾ الأذنون الهابطين بعقولهم إلى أسوا المستويات مايستحون ولايخجلون فيقولون إن هى[1] إلا موتتنا الأولى منكرين للبعث والجزاء ليواصلوا كفرهم وفسقهم، فلذا قالوا ومانحن بمنشرين أي بمبعوثين أحياء من قبورنا كما تعدنا يامحمد، وان أصررتم على قولكم بالحياة الثانية فأتوابآبائنا الذين ماتوا ﴿إن كنتم صادقين﴾[2] فى ذلك وقولهم فأتوا وإن كنتم ليس من باب تعظيم الرسول ﷺ وانما شعور منهم أنه ليس وحده فى هذه الدعوة بل وراءه من هو دافع له على ذلك.[3]

---

(١) ان هي إلا موتتنا الأولى مبتدأ وخبر نحو إن هي إلا حياتنا الدنيا فإن نافية بمعنى ما والضمير مبتدأ وما بعد إلا الخبر.

(٢) قيل في هذا القائل انه أبو جهل قال للرسول ﷺ يا محمد إن كنت صادقاً في قولك فابعث لنا رجلين من آبائنا احدهما قصي بن كلاب فإنه كان رجلاً صادقاً لنسأله عما كان بعد الموت.

(٣) جائز أن يكون الخطاب للنبي ﷺ وجائز أن يكون مع المؤمنين وهذا هو الظاهر لأن النبي ﷺ كان معه أصحابه يدعون بدعوته وعلى رأسهم أبو بكر الصديق ومن آمن معه من أعيان مكة وأشرافها كعثمان وعلي وعمر رضي الله عنهم أجمعين.

وقوله تعالى : ﴿أهم خير[1] أم قوم تبع[2] والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا قوما مجرمين﴾؟ انهم ليسوا بخير منهم بأي حال لافى المال ولا فى الرجال فكما أهلكناهم نهلك هؤلاء، وأهلكنا الأولين لأنهم كانوا مجرمين أي على أنفسهم بالشرك والمعاصى، وهؤلاء مجرمون أيضا فهم مستوجبون للهلاك وسوف يهلكون إن لم يتوبوا فيؤمنوا ويوحدوا ويطيعوا الله ورسوله.

وقوله تعالى : ﴿وماخلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ ماخلقناهما إلا بالحق ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ هذا دليل على البعث والجزاء إذ ليس من الحكمة ان يخلق الله الكون لا لشىء ثم يعدمه ولا شىء وراء ذلك هذا من اللعب والعبث الذى ينتزه عنه العقلاء فكيف بواهب العقول جل وعز إنه ماخلق الكون إلا ليذكر فيه ويشكر فمن ذكره فيه وشكره أكرمه وجزاه بأحسن الجزاء، ومن تركه وكفره أهانه وجزاه بأسوء الجزاء وذلك يتم بعد نهاية هذه الحياة ووجود الحياة الثانية وهو يوم القيامة.

ولذا قال تعالى : ﴿إنَّ يوم الفصل ميقاتهم أجمعين﴾ أي إنَّ يوم القيامة لفصل القضاء والحكم بين الناس فيما اختلفوا من التوحيد والشرك، والبرور والفجور هو ميعادهم الذى يحضرون فيه اجمعين يوم لايغنى مولى عن مولى شيئاً ولاهم ينصرون أي يوم لايكفى أحد قريب كابن العم عن أحد بِدَفْع شيء من العذاب عنه، وَلَا بِنَصْر بعضهم بعضاً كما كانوا فى الدنيا، وقوله تعالى إلا من رحم الله أي لكن من رحم الله فى الدنيا بالإيمان والتوحيد فإنه يرحمه فى الآخرة فيشفع فيه وليأمن أوليائه انه تعالى هو العزيز أي الانتقام من أعدائه الرحيم بأوليائه. والناس بين ولي لله وعدو فأولياؤه هم المؤمنون المتقون وأعداؤه هم الكافرون الفاجرون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ ـ الإجرام هو سبب الهلاك والدمار كيفما كان فاعله.

٣ ـ تبع الحميرى كان عبدا صالحا[3] ملكاً حاكماً وكان قومه كافرين فأهلكهم الله وأنجاه ومن معه

---

(١) الاستفهام إنكاري أي ليسوا خيرا من قوم تبع والذين من قبلهم كعاد وثمود وقد أهلكهم الله والمراد من قوم تبع أقوام ملوك التبابعة إذ تبع لقب لمن يملك بلاد اليمن كلها ككسرى للفرس وقيصر للروم.

(٢) في مسند أحمد رحمه الله أن النبي ﷺ قال «لاتسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم» ولذا ذكر تعالى هلاك قومه ولم يذكره معهم ويقال له أسعد ويكنى أبا كرب وكان قبل البعثة المحمدية بألف سنة أو ما يقارب ذلك وقصة حياته مشهورة في كتب السيرة وفي كتابنا هذا الحبيب بيان ذلك.

(٣) إنه غزا المدينة بعد عودته من غزو العراق وأراد خرابها ثم ترك لما علم من قبل اليهود انها مهاجر نبي اسمه أحمد فقال شعراً تركه عند أهلها فتوارثوه كابراً عن كابر إلى أن هاجر النبي ﷺ فادوه إليه ومر بالكعبة فكساها وهذا شعره:

شهدت على أحمد انه رسول من الله باري النَّسم
فلو مد عمري إلى عمره لكنت وزيرا له وابن عم

من المؤمنين الصالحين ففى هذا الملك الصالح عبرة لمن يعتبر.
٤ ـ تنزه الرب تعالى عن اللعب والعبث فيما يخلق ويهب، ويأخذ ويعطى ويمنع .
٥ ـ يوم القيامة وهو يوم الفصل ميعاد الخليقة كلها حيث تجمع لفصل القضاء.
٦ ـ لاتنفع قرابة ولاخلة ولاصداقة يوم القيامة، ولكن الإيمان والعمل الصالح .

إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

إن شجرة الزقوم : أي الشجرة التى تثمر الزقوم وهى من اخبث الشجر ثمراً مرارة وقبحاً.
طعام الأثيم : أي ثمرها طعام الأثيم أبى جهل وأصحابه من ذوى الأثام الكبيرة.
كالمهل : أي كدرْدِيّ الزيت الأسود.
يغلى فى البطون كغلي الحميم : أي الماء الشديد الحرارة.
خذوه فاعتلوه : أي يقال للزبانية خذوه فاعتلوه أي جروه بغلظة وشدة.
إلى سواء الجحيم : أي إلى وسطها.
ذق انك أنت العزيز الحكيم : أي ذق العذاب إنك كنت تقول مابين جبلي مكة أعز وأكرم منى.
ما كنتم به تمترون : أي إنّ هذا العذاب الذى كنتم تمترون به أى تشكون فيه.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر النار وما فيها من ضروب العذاب فقال تعالى : ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾ كأبي جهل وأضرابه من ذوى الآثام، وشجرة الزقوم تنبت فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين فى القبح وثمرها الذى هو الزقوم مر أشد المرارة جعلها الله تعالى

طعام الأثيم أبى جهل وذوى الآثام الكبيرة. وقوله تعالى فى الاخبار عنها ﴿كالمهل يغلى فى[1] البطون كغلى الحميم﴾ أي كدردي الزيت يغلى فى بطون الآثمين كغلي الحميم أي الماء الحار الشديد الحرارة. وقوله تعالى : ﴿خذوه فاعتلوه الى[2] سواء الجحيم﴾، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم أي يقال للزبانية وهم الملائكة الموكلون بالنار وعذابها خذوه فاعتلوه أي ادفعوه واجذبوه بعنف إلى وسط الجحيم، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم أي صبوا فوق رأسه الماء الحار الشديد الحرارة ويقال له : تهكما به ذق إنك أنت[3] العزيز الكريم أي كما كنت تقول في الدنيا إذ كان أبو جهل يقول: مابين جبلى مكة أعز وأكرم منى، وكان يجمع أولاده ويضع بين أيديهم الزبدة وتمر العجوة ويقول لهم تزقموا هذا هو الزقوم الذى يهددنا به محمد اللهم صلى وسلم على نبينا محمد وقوله تعالى : ﴿إن هذا ما كنتم به تمترون﴾ أي يقال لهم إن هذا أي العذاب الذى كنتم تشكون فى أنه كائن يوم القيامة، وذلك لتكذيبهم بالبعث والجزاء يوم القيامة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ ـ عظم عذاب النار وفظاعة مايلاقيه ذوو الآثام الكبيرة فيها.

٣ ـ يوجد شجرة بأريحا من الغور لها ثمر كالتمر حلو عفيص ، لنواه دهن عظيم المنافع عجيب الفعل فى تحليل الرياح الباردة وأمراض البلغم وأوجاع المفاصل والنقرس وعرق النسا والريح اللاحجة فى حق الورك، يشرب منه زنة سبعة دراهم ثلاثة أيام، وربما أقام الزمنى، والمقعدين. ذكر هذا صاحب حاشية الجمل على الجلاليين عند تفسير هذه الآية. ولو أمكن أخذ هذا الثمر واستخراج زيته والتداوى به لكان خيرا.

٤ ـ من أشد أنواع العذاب فى النار العذاب النفسى بالتهكم والسخرية من المعذبين وهو العذاب المهين الذى يُهين المعذبين ويدوس كرامتهم.

---

(١) قرأ نافع تغلي بالتاء وقرأ حفص بالياء على رجوع الضمير إلى الطعام لا إلى المهل.

(٢) العتل القود بعنف وشدة. وقرأ نافع فاعتلوه بضم التاء وقرأ حفص فاعتلوه بجر التاء.

(٣) هذا مقول قول محذوف تقديره: قولوا له ذق. . والذوق مستعار للإحساس وصيغة الأمر هنا مستعملة في الإهانة وجملة. إنك أنت العزيز الكريم جملة تعليلية للأمر قبله ذق انك. والمراد بها التهكم والازدراء إذ المراد أنك أنت الذليل المهان.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

شرح الكلمات :

ان المتقين فى مقام آمين : أي إن الذين اتقوا ربهم فى الدنيا فآمنوا وعملوا الصالحات بعد اجتناب الشرك والمعاصى فى مجلس آمين لايلحقهم فيه خوف بحال.

في جنات وعيون : هذا هو المقام الأمين.

من سندس واستبرق : أي مارق من الديباج، وماغلظ منه.

متقابلين : أي لاينظر بعضهم إلى قفا بعض لأن الأسرة تدور بهم.

كذلك، وزوجناهم : أي الأمر كذلك وزوجناهم.

بحور عين : أي بنساء بيض واسعات الأعين.

يدعون فيها : أي يطلبون الخدم فيها أن يأتوهم بكل فاكهة.

آمنين : أي من انقطاعها ومن مضراتها ومن كل مخوف.

لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى : أي لكن الموتة الأولى فقد ذاقوها.

فإنما يسرناه بلسانك : أي سهلنا القرآن بلغتك.

لعلهم يتذكرون : أي يتعظون فيؤمنون ويوحدون لكنهم لايؤمنون.

فارتقب إنهم مرتقبون : أي فانتظر هلاكهم فإنهم منتظرون هلاكك.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى حال أهل النار عقب عليه بذكر حال أهل الجنة وهذا هو أسلوب الترغيب والترهيب الذى تميز به القرآن الكريم لأنه كتاب دعوة وهداية زيادة على أنه كتاب تشريع وأحكام فقال عز من قائل : ﴿إن المتقين فى[1] مقام أمين فى جنات وعيون﴾ فأخبر تعالى أن الذين اتقوه فى الدنيا فآمنوا به وأطاعوه فى أمره ونهيه ولم يشركوا به هؤلاء فى مقام آمين أي فى مجلس آمن لايلحقهم فيه خوف، وبين ذلك المقام الآمن بقوله ﴿فى جنات﴾ أي بساتين وعيون. يلبسون أي ثيابهم من[2] سندس واستبرق، والسندس مارق من الحرير والاستبرق ماغلظ منه، وقوله متقابلين أي لاينظر بعضهم إلى قفا بعض لأن الأسرة التى هم عليها تدور. وقوله تعالى : ﴿كذلك﴾ أي الأمر كذلك أي كما وصفنا وزوجناهم بحور[3] عين، الحوراء من النساء البيضاء ومن فى عينيها حورٌ وهو كِبَر بياض العين على سوادها والعِينُ جمع عيناء وهى واسعة العينين. وقوله ﴿يدعون فيها بكل فاكهة آمنين﴾ أي يطلبون الخدمة أن يوافوهم بكل فاكهة حال كونهم آمنين من انقطاعها ومن ضررها ومن كل مخوف يلحق بسببها أو بسبب غيرها.

وقوله تعالى : ﴿لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى[4]﴾ أي لايذوقون فى الجنة الموت بعد الموتة الأولى التى ذاقوها فى الدنيا فإن أهلها لايمرضون ولايهرمون ولايموتون وقوله تعالى : ﴿ووقاهم عذاب الجحيم﴾، وهذا دال على أن غير المتقين من الموحدين قد يذوقون عذاب الجحيم قبل دخولهم الجنة بخلاف المتقين فإنهم لايدخلون النار البتة وقوله تعالى : ﴿فضلا من ربك﴾ أى كان ذلك الإنعام والتكريم فضلا من ربك إذ لم يستوجبوه لمجرد تقواهم وقد قال الرسول ﷺ فى حديث مسلم «سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أنه لن يدخل أحدكم الجنة عمله» قالوا ولا أنت يارسول الله قال «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل». وقوله ذلك هو الفوز العظيم. أي النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم وهو كما فى قوله من سورة آل عمران : ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾.

وقوله تعالى : ﴿فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون[5]﴾ أي فإنما سهلنا القرآن بلغتك العربية

---

(١) المقام بضم الميم مكان الإقامة، والمقام بالفتح مكان القيام ويتناول السكن وما يتبعه. وقرأه نافع بضم الميم وقرأه حفص بفتح الميم.

(٢) من سندس من لبيان الجنس والمبين محذوف دل عليه يلبسون أي ثياباً.

(٣) عن ابن مسعود أن المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم. وقال مجاهد إنما سميت الحور حوراً لأنهن يحار الطرف في حسنهن وبياضهن وصفاء لونهن ولا منافاة بين هذه الصفات. وروى أن إخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين في أثرين أحدهما عن أنس ونصه كنس المساجد مهور الحور العين.

(٤) الاستثناء منقطع أي لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا.

(٥) الباء سببية أي يسرناه للحفظ والفهم بسبب لغتك العربية إذ المراد باللسان اللغة لا الجارحة المعروفة.

لعلهم يتذكرون فيتعظون فيؤمنون ويتقون. لكن أكثرهم لم يتعظ فارتقب مايحل بهم فإنهم منتظرون مايكون لك من نجاح أو إخفاق.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ فضل التقوى وكرامة أهلها والتقوى هي خشية من الله تحمل على طاعة الله بفعل محابه وترك مكارهه.

٢ ـ بيان شيء من نعيم أهل الجنة ترغيباً في العمل لها.

٣ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٤ ـ بيان الحكمة من تسهيل فهم القرآن الكريم وهو الاتعاظ المقتضى للتقوى.

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

مكيـــــة وآياتها سبع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

حم : هذا أحد الحروف الهجائية يكتب هكذا: حم ويقرأ هكذا: حَامِيمْ.

تنزيل الكتاب : أي القرآن.

من الله العزيز الحكيم : أي من عند الله العزيز الانتقام من أعدائه الحكيم فى تدبيره.

إن فى السموات والأرض : أي إن فى خلق السموات والأرض.

لآيات : أي لدلالات واضحات على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته وهي موجبات الربوبية والألوهية له وحده دون سواه.

للمؤمنين : أي لأنهم بالإيمان أحياء يبصرون ويسمعون فيرون الآيات.

وفى خلقكم : أي وفى خلقكم أيها الناس وتركيب أعضائكم وسلامة بنيانكم.

ومابث من دابة : أي وماخلق ونشر من أنواع الدواب من بهائم وغيرها.

آيات لقوم يوقنون : أي علامات على قدرة الله تعالى على البعث الآخر إذ الخالق لهذه العوالم قادر على إعادتها بعد موتها، ولكن هذه الآيات لايراها إلا القوم الموقنون فى ايمانهم بربوبية الله والوهيته وصفات الجلال والكمال له.

واختلاف الليل والنهار : أي بمجيء هذا وذهاب ذاك وطول هذا وقصر ذاك على مدى الحياة.

وما أنزل الله من السماء من رزق : أي من مطر، وسمي المطر رزقا لأنه يسببه.

فأحيا به الأرض بعد موتها : أحيا بالمطر الأرض بعد موت نباتها بالجدب.

وتصريف الرياح : أي من صبا إلى دبور، ومن شمال إلى جنوب، ومن سموم إلى باردة ومن نسيم إلى عاصفة.

آيات لقوم يعقلون : أي فى اختلاف الليل والنهار وانزال المطر واحياء الأرض وتصريف الرياح دلالات واضحة على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته واقتضاء ذلك ربوبية الله والوهيته، لقوم يعقلون أي يستعملون عقولهم فى إدراك الأشياء واستنتاج النتائج من مقدماتها.

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿حم﴾ : الله أعلم بمراده به إذ هو من المتشابه الذى أمرنا أن نؤمن به ونفوض أمر معناه إلى من انزله سبحانه وتعالى. وقد ذكرنا مرات فائدتين لهذه الحروف المقطعة فلتراجع فى أكثر السور المفتتحة بالحروف المقطعة كحمٓ الدخان السورة التى قبل هذه السورة. وقوله

تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم[1] **أي تنزيل القرآن كان من عند الله العزيز أي الانتقام من أعدائه الحكيم فى تدبير أمور خلقه وقوله تعالى : ﴿إن في السموات والأرض﴾ أي في خلقهما وإيجادهما ومافيها من عجائب الصنعة لآيات للمؤمنين**[2] **تدلهم على استحقاق ربهم للعبادة دون سواه من سائر خلقه ، وخُصَّ المؤمنون بهذه الآيات لأنهم أحياء يسمعون ويبصرون** ويعقلون فهم إذا نظروا فى السموات والأرض تجلت لهم حقائق ان الخالق لهذه العوالم لن يكون إلا قادراً عليماً حكيماً عزيزاً ومن ثم وجب أن لايعبد إلا هو، وكل عبادة لغيره باطلة.

وقوله : وفى خلقكم أيها الناس أي فى أطوار خلقكم من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى بشر سوى الخلقة معتدل المزاج والتركيب له سمع وبصر ونطق وفكر.

ومايبث من دابة أي ومايخلق ومايفرق وينشر فى الأرض من أنواع الدواب والبهائم والحيوانات على اختلافها من برية وبحرية آيات لقوم[3] يوقنون أي يوقنون فى إيمانهم بالله تعالى وآياته، كما يوقنون بحقائق الأشياء، الثابتة لها فالواحد مع الواحد اثنان والموجود ضد المعدوم، والأبيض خلاف الأسود، والابن لابد له من أب، والعذب خلاف المر فأصحاب هذا اليقين يرون فى خلق الانسان والحيوان آيات دالة على وجود الله وعلمه وعزته وحكمته وقدرته على البعث والجزاء الذى أنكره عادمو العقول من المشركين والكافرين. وقوله: ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ أي بتعاقبهما بمجيء الليل وذهاب النهار، والعكس كذلك وبطول أحدهما وقصر الآخر تارة والعكس كذلك وما أنزل الله من السماء من رزق أى من مطر هو سبب الرزق فأحيا به الأرض بعد موتها بِيُبْسِ النبات وموته عليها، وتصريف الرياح من صبا الى دبور، ومن شمال الى جنوب ومن رخاء لينة إلى عاصفة ذات برد أو سموم إن فى المذكورات آيات حججاً ودلائل دالة على وجود عبادة الله وتوحيده فى ذلك، ولكن لقوم[4] يعقلون أي لذوى العقول النيرة السليمة. أما الذين لاعقول لهم فلا يرون ولا فى غيرها آية فضلا عن آياتٍ.

---

(١) تنزيل الكتاب مبتدأ خبره من الله وإيثار وصفي العزيز الحكيم من بين أسماء الله وصفاته الإيماء إلى أن هذا الكتاب ذو نبأ عظيم فهو عزيز بعزة منزله لا يقدر على مثله وذو حكم لا يخلو منها.

(٢) كون الآيات للمؤمنين دون الكافرين باعتبار أنهم هم المنتفعون بها لأنهم يسمعون ويبصرون ويعقلون والكافرون فاقدون لذلك فلم تكن الآيات لهم لعدم انتفاعهم بها.

(٣) اليقين لا يكون إلا بعد الإيمان فالإيمان يثمر اليقين فالمؤمن يرى في خلق السموات والأرض أي في إيجادهما على ما هما عليه آيات على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته فيرتفع إيمانهم إلى مرتبة اليقين فيرون في أدق الأشياء كالأجنة في الأرحام وما هو أخفى يرون فيه آيات تزيد في يقينهم وتحملهم على حبهم لله وطاعتهم له والتقرب إليه.

(٤) والعقل مرتبة ثالثة بعد الإيمان واليقين في باب الاهتداء فالذي يرى اختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وما ينجم عنها من نباتات وزروع ولم يهتد إلى الإيمان فيؤمن فهو غير عاقل ولا يصح نسبته إلى العقلاء.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ عظم شأن القرآن الكريم لأنه تنزيل الله العزيز الحكيم.

٢ ـ الإيمان أعم من اليقين ومقدم عليه فى الترتيب واليقين أعلى فى الرتبة.

٣ ـ فضل العقل[1] السليم إن استخدم فى الخير وماينفع.

٤ ـ تقرير ألوهية الله تعالى بتقرير ربوبيته فى الخلق والتدبير والعلم والحكمة.

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

تلك آيات الله : أي تلك الآيات المذكورة آيات الله أى حججه الدالة على وحدانيته.

نتلوها عليك بالحق : أي نخبرك عنها بالحق لابالباطل كما يخبر المشركون عن آلهتهم أنها تقربهم إلى الله زلفى كذبا وباطلا.

فبأى حديث بعد الله وآياته : أي فبأي حديث أيها المشركون بعد حديث الله هذا الذى يتلوه عليكم وبعد حججه هذه.

تؤمنون : أي تصدقون والجواب أنكم لاتؤمنون.

ويل لكل أفاك أثيم : أي عذاب الويل لكل كذاب ذى آثام كبيرة وكثيرة.

---

(١) من شروط التكليف العقل بلا خلاف بين أئمة الإسلام والكافر غير مكلف بفروع الشريعة أيضاً لأنه لو عقل لآمن ولو آمن لكلف فالكافر لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل فكيف يكلف؟

يسمع آيات الله تتلى عليه : أي يسمع آيات القرآن كتاب الله تقرأ عليه.

ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها : أي ثم يصر على الكفر حال كونه مستكبرا عن الإيمان والتوحيد كأن لم يسمعها.

وإذا علم من آياتنا شيئاً : أي إذا بلغه شيء من القرآن وعلم أنه من القرآن.

اتخذها هزوا : أي اتخذ تلك الآية أو الآيات مهزواً بها متهكما ساخراً منها.

لهم عذاب مهين : أي ذو اهانة لهم يهانون به وتكسر أنوفهم.

من ورائهم جهنم : أي أمامهم جهنم وذلك يوم القيامة، والوراء يطلق على الأمام كذلك.

ولايغنى عنهم ماكسبوا شيئاً : أي لايكفى عنهم ماكسبوه من المال والأفعال التى كانوا يعتزون بها شيئاً من الإغناء.

ولاما اتخذوا من دون الله من أولياء : أي ولايغنى عنهم كذلك ما اتخذوه من أصنام آلهة عبدوها دون الله تعالى

هذا هدىً : أي هذا القرآن الذى أنزله الله تعالى على عبده ورسوله محمد ﷺ هُدىً أى كله حجج وبراهين ودلالات هادية.

والذين كفروا بآيات ربهم : أي والذين كفروا بالقرآن فلم يهتدوا به وبقوا على ضلالهم من الشرك والمعاصى.

لهم عذاب من رجز أليم : أي لهم عذاب موجع من نوع الرجز وهو أشد أنواع العذاب.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى طلب هداية قريش فبعد أن بيّن تعالى آياته فى الآفاق وفى الأنفس قال لرسوله ﷺ تلك[1] آيات الله أى تلك الآيات المذكورة أي آيات الله أي حججه الدالة على وجوده وعلمه وقدرته وموجبة لربوبيته على خلقه وألوهيته فهو الإله الحق الذى لا إله إلا هو حق سواه. وقوله فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون أي إن لم يؤمن هؤلاء المشركون بالله رباً وإلهاً لارب غيره ولا إله سواه، وبآياته القرآنية الحاملة للهدى والخير والنور فبأى شيء يؤمنون أي يصدقون لاشيء يؤمنون لأن الاستفهام إنكارى والإنكار كالنفى فى معناه.

وقوله ﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾[2] يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها هذا

(١) أشار إليها بلام البعد للدلالة على علو شأنها وعزة مرامها ولولا هذا لقال هذه آيات الله لقرب ذكرها.

(٢) صاحب هاتين الصفتين كثرة الإفك وكثرة الإثم هو في خبث نفسه كالشياطين سواء بسواء إذ مثله هو الذي تنزل عليه الشياطين ويتحد معها على الخبث والكفر والشر والإفساد.

وعيد من الله تعالى شديد لكل كذاب يقلب الكذب فيصف الطاهر بالخبيث والخبيث بالطيب والكاذب بالصادق، والصادق بالكاذب أثيم منغمس فى كبائر الإثم والفواحش. يسمع هذا الأفاك الاثيم آيات الله تتلى عليه وهى القرآن الكريم، ثم يصر على الكفر مستكبرا عن الإيمان به وبما يدعو إليه من التوحيد، كأن لم يسمع تلك الآيات. قال تعالى لرسوله فبشره[1] بعذاب أليم وقوله تعالى وإذا علم أي ذلك الأفاك الأثيم من آياتنا شيئاً كأن تبلغه الآية أو الآيات من القرآن اتخذها هزواً أي أخذ يهزأ بها ويسخر منها، ويواصل ذلك فيجعلها هزواً بها، قال تعالى: أولئك أي الأفاكون الآثمون وما أكثرهم لهم عذاب مهين أي فيه إهانة زائده تنكسر منها أنوفهم التى كانت تأنف الحق وتستكبر عنه. وقوله تعالى: ﴿من ورائهم جهنم﴾ هذا وعيد لهم تابع للأول إذ أخبر تعالى أن من ورائهم جهنم وذلك يوم القيامة ولفظ الوراء يطلق ويراد به الأمام فهو من الألفاظ المشتركة فى معنيين فأكثر وقوله ﴿ولايغنى عنهم ماكسبوا شيئا[2]﴾ أي ولايكفى عنهم أموالهم ولا أولادهم ولاجاههم ولا كل ماكسبوا فى هذه الدنيا أي لايدفع ذلك عنهم شيئا من العذاب، وكذلك لاتغنى عنهم آلهتهم التى عبدوها من دون الله شيئا من دفع العذاب. ولهم عذاب عظيم لايقادر قدره، وكيف والعظيم جل جلاله وصفه بأنه عظيم.

وقوله تعالى: ﴿هذا هدى[3]﴾ أي هذا القرآن هدى أي يخرج من الضلالة الى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان ومن الشرك إلى التوحيد لما فيه من الهدى والنور، ولما يدعو إليه من الحق والعدل والخير والذين كفروا به وأعرضوا عنه وهو آيات الله وحججه على خلقه هؤلاء لهم عذاب من رجز أليم أي عذاب هو من أشد أنواع العذاب لأنهم بالكفر بالآيات لم يزكوا أنفسهم ولم يطهروها فماتوا على أخبث النفوس وشرها فلا جزاء لهم إلا رجز العذاب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ القرآن نور وأعظم نور فمن لم يهتد عليه لايرجى له الهداية أبداً.

٢ ـ الوعيد الشديد لأهل الإفك والآثام، والإفك الكذب المقلوب.

٣ ـ شر الناس من إذا سمع آيات الله استهزأ وسخر منها أو ممن يتلوها.

---

(١) البشارة تكون بالخبر السار الذي تَتهلّل به البشرةُ بالبشر والطلاق والتبشير بالعذاب يورث اسوداد الوجه وكلوحه فالبشارة هنا من باب التهكم به أو لكون البشرة تتغير للخبر فصح إطلاق البشارة عليه.

(٢) في الآية إشارة إلى أن اصحاب هذه الصفات يكونون من أرباب الأموال لأنهم يكتسبونها بكل وسيلة ولو ببيع عقولهم وضمائرهم وأموالهم والمحافظة عليها من عوامل ردهم لدعوة الإسلام ومحاربتها كما هو مشاهد.

(٣) هذا هدى أي هذا القرآن هدى في ذاته وما يدعو إليه ومن كفر به فحرم الهداية فلم يهتد فلا جزاء له إلا جزاء العذاب الأليم.

٤ ـ لم يغن عمن مات على الكفر شيء من كسب فى هذه الحياة الدنيا من مال وولد وجاه وسلطان.

٥ ـ لم يغن عن المشرك ما كان يعبد من دون الله أو مع الله من أصنام وأوثان وملائكة أو أنبياء أو أولياء.

۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾

شرح الكلمات:

الله الذى سخر لكم البحر : أي الله المعبود بحق لا الآلهة الباطلة سخر لكم أي لأجلكم البحر بأن جعله أملس تطفو فوقه الأخشاب ونحوها.

لتجرى الفلك فيه بأمره : أي جعله كذلك لتجرى السفن فيه بإذن الله تعالى.

ولتبتغوا من فضله : أي لتسافروا إلى طلب الرزق من إقليم إلى إقليم.

ولعلكم تشكرون : أي رجاء أن تشكروا نعم الله عليكم.

وسخر لكم مافى السموات : أي من شمس وقمر ونجوم ورياح وماء أمطار.

وما فى الأرض جميعا : أي ومافى الأرض من جبال وأنهار وأشجار ومعادن منه تعالى.

إن فى ذلك لآيات : أي علامات ودلائل وحجج على وجود الله والوهيته

لقوم يتفكرون : أي لقوم يستخدمون عقولهم فيتفكرون فى وجود هذه المخلوقات ومن أوجدها ولماذا أوجدها فتتجلى لهم حقائق وجود الله وعلمه وقدرته ورحمته فيؤمنوا ويوحدوا.

قل للذين آمنوا يغفروا : أي قل يارسولنا للمؤمنين من عبادنا يغفروا أي يتجاوزوا

ولايؤخذوا.

الذين لايرجون أيام الله : أي لايتوقعون أيام الله أي بالإدالة منهم للمؤمنين فيذلهم الله وينصر المؤمنين عليهم وهم الرسول وأصحابه وهذا قبل الأمر بجهادهم.

ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون : أي ليجزى تعالى يوم القيامة قوماً منهم وهم الذين علم تعالى أنهم لايؤمنون بما كسبوه من أذى الرسول والمؤمنين.

من عمل صالحا فلنفسه : أي فهو الذى يرحم ويسعد به.

ومن أساء فعليها : أي ومن عمل سوءاً فالعقوبة تحل به لابغيره.

ثم إلى ربكم ترجعون : أي بعد الموت ويحكم بينكم فيما كان بينكم من خلاف وأذى.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى هداية قوم النبى ﷺ فقوله تعالى : ﴿الله الذى سخر لكم﴾[1] تذكير لأولئك المعرضين بالحجج والآيات الدالة على وجوب الإيمان بالله وتوحيده وطاعته فهو تعالى يعرفهم أن مابهم من نعم هى من الله لامن غيره من تلك الألهة الباطلة.الله لاغيره هو الذى سخر لكم أي ذلل ويسر وسهل مافى السموات من شمس وقمر ونجوم وسحب وأمطار ورياح لمنافعكم، وسخر لكم مافى الأرض من جبال وأشجار وأنهار وبحار ومعادن وحيوانات على اختلافها كل ذلك منه[2] وهو وهبه لكم، إن فى ذلك المذكور من إنعام الله عليكم بكل ماسخر لكم لأيات لقوم[3] يتفكرون فيهديهم تفكيرهم إلى وجوب حمد الله تعالى وشكره بعد أن آمنوا به ووحدوه فى ربوبيته وألوهيته. وقوله تعالى : ﴿قل للذين آمنوا يغفروا[4] للذين لايرجون أيام الله[5] ليجزى قوما بما كانوا يكسبون﴾. يأمر تعالى رسوله أن يقول لصحابته أيام الخوف فى مكة قبل الهجرة إصفحوا وتجاوزوا عمن يؤذيكم من كفار قريش، ولاتردوا الأذى بأذى مثله بل اغفروا لهم ذلك وتجاوزوا عنه، وقد نسخ هذا بالأمر بالجهاد.

وقوله تعالى ﴿ليجزى قوما بما كانوا يكسبون﴾ تعليل للأمر بالصفح والتجاوز أي ليؤخر لهم

---

(١) ذكر تعالى في هذه الأيات كمال قدرته وتمام نعمته على عباده وبين انه خلق ما خلق لمنافعهم.

(٢) منه من ابتدائيه أي جميع ذلك المذكور المسخر من عند الله تعالى ليس لغيره فيه أدنى شركة وموقع (منه) موقع الحال أي سخر لكم ما سخر حال كونه منه.

(٣) التفكر هو منبع الإيمان واليقين والعقل إذ من فكر عقل ومن عقل آمن ومن آمن أيقن ومن ايقن طلب النجاة من النار والفوز بالجنان بالإيمان وصالح الأعمال بعد ترك الشرك والمعاصي.

(٤) يغفروا مجزوم لانه في جواب الأمر «قل» وجائز أن يكون مجزوما بتقدير لام الأمر محذوفة أي ليغفروا.

(٥) جائز أن يراد بأيام الله ثـوابه وعقابه أو نصره لأوليائه وإيقاعه بأعدائه. أو البعث الآخر ولقائه.

ذلـك الى يوم القيامـة ويجـزيهم به أسوأ الجزاء لأنه كسب من شر المكاسب إنه أذية النبى والمؤمنين أولياء الله ، وفى تنكير قوما يدل على أن بعضهم سيؤمن ولا يعذب يوم القيامة فلا يعذب إلا من مات على الكفر والشرك منهم .

وقوله تعالى : ﴿من عمل صالحاً فانفسه﴾[1] أي من عمل صالحاً فى هذه الحياة الدنيا من إيمان وطاعة لله ورسوله فى أوامرهما ونواهيهما فزكت بذلك نفسه وتأهل لدخول الجنة فإن الله يدخله الجنة ويكون عمله الصالح قد عاد عليه ولم يعد على غيره إن الله غني عن عمل عباده، وغير العامل لاتطهرنفسه ولاتزكو بعمل لم يباشره بنفسه ،وقوله ومن أساء أي في حياته فلم يؤمن ولم يعمل صالحاً يزكي به نفسه، فجزاء كسبه السيء من الشرك والمعاصى عائد على نفسه عذاباً فى النار وخلوداً فيها .[2]

وقوله تعالى : ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ أي إنكم أيها الناس بعد هذه الحياة وماعملتم فيها من صالح وسيء ترجعون إلى الله يوم القيامة ويجزيكم كلاً بحسب عمله الخير بالخير والشر بمثله .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير التوحيد والبعث والجزاء والنبوة .[3]

٢ ـ بيان علة الإنعام الإلهى على العبد وهى أن يشكر الله تعالى بحمده والثناء عليه وصرف تلك النعم فى مرضاته تعالى لافى معاصيه الموجبة لسخطه .

٣ ـ مشروعية التسامح مع الكفار والتجاوز عن أذاهم فى حال ضعف المسلمين .

٤ ـ تقرير قاعدة أن المرء لايؤخذ بجريرة غيره .

٥ ـ تقرير أن الكسب يؤثر فى النفس ويكون صفة لها وبه يتم الجزاء فى الدار الآخرة من خير وغيره قال تعالى سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم (الأنعام) .

---

(١) العمل الصالح شرطه الإيمان ولذا ما ذكر العمل الصالح في القرآن إلا والإيمان مقروناً به إلا ما ندر كهذه الآية .

(٢) الخلود في النار خاص بالمشركين والكافرين اما أهل الإيمان والتوحيد فلا يخلدون في النار لحسنة الإيمان والتوحيد .

(٣) هذه الأصول الثلاثة عليها مدار استقامة العبد وجل السور المكية تعالجها فلا تكاد توجد سورة تخلو من تحقيقها والدعوة إليها .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

الكتاب : أي التوراة لأنها الحاوية للأحكام الشرعية بخلاف الزبور والإنجيل.

والحكم : أي الفصل في القضايا بين المتنازعين على الوجه الذي يحقق العدل.

والنبوة ورزقناهم من الطيبات : أي جعلنا فيهم النبوة كنبوة موسى وهارون وداود وسليمان، ورزقهم من الطيبات كالمنّ والسلوى وغيرهما.

وفضلناهم على العالمين : أي على عالمى زمانهم من الأمم المعاصرة لهم.

إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم : أي لم يختلفوا إلا من بعد ماجاءهم العلم ببعثة النبى محمد ﷺ بغياً بينهم أي حسداً للعرب أولاد إسماعيل أن تكون النبوة فيهم.

ثم جعلناك على شريعة[1] من الأمر : أي ثم جعلناك يارسولنا على شريعة من أمر الدين الحق الذى ارتضاه الله لعباده.

---

(١) الشريعة لغة المذهب والملة ويقال لمشرعة الماء أي مورد الشاربة شريعة ومنه الشارع لأنه طريق إلى المقصد فالشريعة ما شرع الله لعباده من الدين والجمع شرائع.

فاتبعها : أي الزم الأخذ بها والسير على طريقها فأنها تفضي بك إلى سعادة الدارين.

ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون : من مشركى العرب ومن ضلال أهل الكتاب.

إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا : أي إنْ أنت تركت ماشرع لك واتبعت مايقترحون عليك أن تفعله مما يوافق أهواءهم إنك إن اتبعتهم لن يدفعوا عنك من العذاب الدنيوي والأخروى شيئا.

وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض : أي ينصر بعضهم بعضا فى الدنيا أما فى الآخرة فإنهم لاينصرون.

والله ولي المتقين : أي متوليهم فى أمورهم كلها وناصرهم على أعدائهم.

هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون : أي هذا القرآن أي أنوار هداية يهتدون به إلى مايكملهم ويسعدهم، وهدى ورحمة، ولكن لأهل اليقين فى إيمانهم فهم الذين يهتدون به ويرحمون عليه أما غير الموقنين فلا يرون هداه ولايجدون رحمته لأن شكهم وعدم إيقانهم يتعذر معهما أن يعملوا به فى جد وصدق وإخلاص.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى طلب هداية قوم النبى ﷺ فعرض عليهم حالاً شبيهة بحالهم لعلهم يجدون فيها مايذكرهم ويعظهم فيؤمنوا ويوحدوا قال تعالى: ﴿ولقد آتينا بنى إسرائيل﴾[1] أي اعطينا بنى إسرائيل وهم أولاد يعقوب الملقب بإسرائيل وهو ابن اسحق بن إبراهيم خليل الرحمن آتيناهم ﴿الكتاب﴾ التوراة ﴿والحكم﴾ وهوالفقه بأحكام الشرع والإصابة في العمل والحق فيها ثمرة إيمانهم وتقواهم ﴿والنبوة﴾ فجعلنا منهم أنبياء ورسلاً كموسى وهارون ويوسف وداود وسليمان وعيسى، وفضلناهم[2] على العالمين أي على فرعون وقومه من الأقباط، وعلى من جاور بلادهم من الناس، وذلك أيام إيمانهم واستقامتهم، وآتيناهم بينات[3] من الأمر أمر الدين تحملها التوراة والانجيل ﴿فما اختلفوا إلاّ من بعد ما جاءهم العلم﴾ الإلهى يحمله القرآن ونبيه فاختلفوا فيما كان عندهم من الأنباء عن نبيٍّ آخر الزمان ونعوته وماسيورثه الله وأمته من الكمال الدنيوى والأخروى فحملهم بغى حدث

---

(١) ذكر تعالى لنبيه ﷺ ما أعطى بنى اسرائيل من إفضالات ثم ذكر ما أعطاه هو ﷺ ليكون ذلك جارياً على سنته في إكرام من يشاء من عباده فلا يكون ذلك داعياً إلى إنكار المشركين ولا أهل الكتاب نبوة نبيه محمد ﷺ لو كانوا يعقلون.

(٢) بأن جمع الله لهم بين استقامة الدين والخلق وبين حكم انفسهم بأنفسهم وبين أصول العدل فيهم مع حسن العيش وشمول الأمن والرخاء لهم.

(٣) أي علمناهم حججا وعلوما في أمر دينهم ونظام حياتهم بحيث يكونون على بصيرة في تدبير مجتمعهم وعلى سلامته من الشرور والمفاسد.

بينهم وهو الحسد على الكفر فكفروا به وكذبوه فهذه الآية نظيرها آية البقرة: ﴿فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنه الله على الكافرين﴾. وكقوله فى سورة البينة ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة﴾ وهو محمد ﷺ.

وقوله تعالى ﴿إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ هذه تسلية لرسول الله ﷺ من جهة، ومن جهة أخرى إعلام منه تعالى بأنه سيحكم بينهم ويفصل ويؤدى كل واحد ثمرة كسبهمن خير وشرفى هذه الحياة وذلك يوم القيامة.

وقوله: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر﴾[1] أي من أمر ديننا الإسلام الذي هو دين الأنبياء من قبلك فلم تختلف شريعتك فى أصولها على شرائعهم، وعليه فاتبعها ولاتَحِدْ عنها متبعا أهواء الذين لايعلمون من زعماء قريش الذين يقدمون لك اقتراحاتهم من الوقت إلى الوقت ولا أهواء ضلال أهل الكتابين من اليهود والنصارى إنهم جهال لايعلمون هدى الله، ولا ماهو سبيل النجاة من النار والفوز بالجنة فى الآخرة، ولا هو سبيل العزة والكرامة والدولة والقوة فى الدنيا.

وقوله: ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا﴾ أي إنَّك إنْ اتبعت أهواءهم واستوجبت العذاب لن يدفعوا عنك ولن يكفوك شيئا منه، وقوله: ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ أي فى الدنيا فيتعاونون على الباطل والشر أما فى الآخرة فلا ينصر بعضهم بعضا ولا هم ينصرون من قبل أحد والله ولي المتقين، أما المتقون فالله وليهم في الدنيا والآخرة، فعليك بولاية الله، ودع ولاية أعدائه، فإنها لن تغني عنك شيئاً.

وقوله تعالى: ﴿هذا بصائر[2] للناس﴾ يريد القرآن الكريم إنه عيون القلوب بها تبصر النافع من الضار والحق من الباطل فمن آمن به وعمل بما فيه اهتدى إلى سعادته وكماله ومن لم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ضل وشقى. وقوله ﴿وهدى ورحمة[3] لقوم يوقنون﴾ أي أن القرآن الكريم كتاب هداية ورحمة عليه يهتدى المهتدون، ويرحم المرحومون وهم الذين ايقنوا بهدايته ورحمته فعملوا به عقائد وعبادات وأحكاماً وآدابا وأخلاقاً فحصل لهم ذلك كما حصل للسلف الصالح من هذه الأمة، ومازال القرآن كتاب هداية ورحمة لكل من آمن به وأيقن فعمل وطبق بجد وصدق أحكامه وشرائعه وآدابه واخلاقه التى جاء بها وقد كان خلق النبى ﷺ القرآن لقول عائشة رضى الله عنها فى الصحيح كان خلقه القرآن.

---

(١) على للاستعلاء أي التمكن والثبات والشريعة الدين والملة المتبعة والأمر الشأن العظيم والأمر هو أمر الله تعالى الذي أراده لك ولأمتك من الدين المنجي المسعد في الدارين.

(٢) البصائر جمع بصيرة وهي إدراك العقل الأمور على حقيقتها شبهت ببصر العين.

(٣) القرآن هدى ورحمة لكل من يهتدي بهداه ويتعرض لرحمته العمل به وخص به لذلك أهل اليقين لأنهم القادرون على الأخذ بهدايته والتعرض لرحمته والعمل به.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان أن كفر أهل الكتاب كان حسداً للنبى ﷺ وقومه من العرب .

٢ ـ بيان إفضال الله تعالى على بنى إسرائيل حيث أعطاهم الكتاب والحكم والنبوة .

ومع هذا اختلفوا فى الحق حسداً وطمعاً فى الرئاسة وإقامة مملكة بنى إسرائيل من النيل الى الفرات .

٣ ـ تقرير البعث والجزاء والنبوة والتوحيد .

٤ ـ وجوب لزوم تطبيق الشريعة الإسلامية وعدم التنازل عن شىء منها .

٥ ـ تقرير ولاية الله تعالى لأهل الإيمان به وتقواه بفعل محابه وترك مساخطه .

٦ ـ بيان أن القرآن كتاب هداية وإصلاح ، ولايتم شىء من هداية الناس وإصلاحهم إلا عليه .

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

اجترحوا السيئات : أي اكتسبوا بجوارحهم الشرك والمعاصى .

سواء محياهم ومماتهم : أي محياهم ومماتهم سواء ، لا لا المؤمنون فى الجنة والمشركون فى النار .

ساء مايحكمون : أي ساء حكماً حكمهم بالتساوى مع المؤمنين .

ولتجزى كل نفس بما كسبت : أي وليجزى الله كل نفس ما كسبت من خير وشر .

أفرأيت من اتخذ إلهه هواه : أي أخبرنى عمن اتخذ اي جعل إلهه أي معبوده هواه .

واضله الله على علم : أي على علم من الله تعالى بأنه أهل للإضلال وعدم الهداية.
وجعل على بصره غشاوة : أي ظلمة على عينيه فلا يبصر الآيات والدلائل.
أفلا تذكرون : أي أفلا تتذكرون أيها الناس فتتعظون.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى فى الآيات قبل هذه الظالمين والمتقين وجزاء كل منهم وأنه كان مختلفا باختلاف نفوس الظالمين والمتقين خبثا وطهراً ذكر هنا ما يقرر ذلك الحكم وهو اختلاف جزاء الظالمين والمتقين فقال: أم حسب[1] الذين اجترحوا السيئات أي اكتسبوها بجوارحهم، والمراد بها الشرك والمعاصي أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله ربا وإلهاً وبكل ما أمر تعالى بالإيمان به، وعملوا الصالحات من إقام الصلاة وآيتاه الزكاة وصيام رمضان والجهاد والحج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وما إلى ذلك من الصالحات.سواء محياهم ومما تهم ساء مايحكمون[2] أي ساء حكما حكمهم هذا ومعنى هذا أن الله تعالى أنكر على من يحسب هذا الحسبان ويظن هذا الظن الفاسد وهو أن يعيش الكافر والمؤمن فى هذه الحياة الكافر يعيش على المعاصى والذنوب والمؤمن على الطاعة والحسنات ثم يموتون ولايجزى الكافر على كفره والمؤمن على إيمانه، وأسوأ من هذا الظن ظن آخر كان لبعضهم وهو أنهم إذا ماتوا يكرمون وينعم عليهم بخير مايكرم به المؤمنون وينعم به عليهم. وهذا غرور عجيب، فأنكر تعالى عليهم هذا الظن الباطل وحكم انه لايسوى بين بر وفاجر، ولابين مؤمن وكافر لأن ذلك مناف للعدل والحق والله خلق السموات والأرض بالحق، وأنزل الشرائع وأرسل الرسل ليعمل الناس فى هذه الحياة الدنيا فمن آمن وعمل صالحا كانت الحسنى له جزاء، ومن كفر وعمل سوءاً كانت جهنم جزاءه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق، ولتجزى كل نفس بما كسبت[3]﴾ أي من خير وشر، وهم لايظلمون لأن العدالة الإلهية هى التى تسود يوم القيامة وتحكم.

وقوله تعالى: ﴿أفرأيت[4] من اتخذ إلهه هواه﴾ أي جعل معبوده ماتهواه نفسه فما هويت قولا إلا قاله، ولا عملا إلا عمله ولا اعتقاداً إلا اعتقده ضارباً بالعقل والشرع عرض الحائط فلا يلتفت

---

(١) أم للإضراب الانتقالي والاستفهام المقدر بعد أم استفهام إنكاري أي لا يحسب الذين اجترحوا السيئات أنهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات. والآية نزلت كما قال البغوي في نفر من المشركين في مكة قالوا للمؤمنين إن كان ما تقولون حقاً لنفضلنّ عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا.

(٢) ساء ما يحكمون هذه الجملة تذييل لما قبلها من إنكار حسبانهم وما اتصل به من المعاني، والحياة والممات مصدران ميميان من الحياة والموت.

(٣) الباء للتعويض لأن ما كسبته النفس لا تجزى به وإنما تجزى بمثله وما يناسبه من خير أو شر.

(٤) الاستفهام للتعجب من حال هذا الذي اتخذ إلهه هواه والمخاطب الرسول ﷺ وكل ذي أهلية لأن يفهم عن الله تعالى من المؤمنين.

إليهما ولايستمع الى ندائهما. وقوله تعالى ﴿وأضله الله على علم[1]﴾ أي منه تعالى حيث سبق فى علمه أن هذا الإنسان لايهتدي ولو جاءته كل آية فكتب ذلك عليه فهو كائن لا محالة، وقوله ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾ أي وختم تعالى على سمعه حسب سنته فى ذلك فأصبح لايسمع الهدى ولا الحق كأنه أصم لايسمع، وأصبح لايعقل معانى مايسمع ومايقال له كأنه لاقلب له، وأصبح لما على بصره من ظلمة لايرى الادلة ولا العلامات الهادية الى الحق والى الطريق المستقيم المفضي بسالكه إلى النجاة من النار ودخول الجنة. وقوله تعالى: ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ وقد أضله الله والجواب لا أحد. كقوله تعالى من سورة النحل ﴿إن الله لايهدى من يضل﴾ أي من أضله الله تعالى حسب سنته فى الإضلال وهي أن يدعى العبد الى الحق والمعروف والخير فيتكبر ويسخر ويحارب فترة يصبح بعدها غير قابل لهداية فهذا لايهديه أحد بعد أن أضله الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿أفلا تذكرون[2]﴾ أي أفلا تذكرون فتتعظون أيها الناس فتؤمنوا وتوحدوا وتعملوا الصالحات فتكملوا وتسعدوا فى الدنيا وتنجو من النار وتدخلوا الجنة فى الآخرة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بطلان اعتقاد الكافرين فى أن الناس يحيون ويموتون بلا جزاء على الكسب صالحه وفاسده.

٢ ـ تقرير البعث والجزاء.

٣ ـ موعظة كبيرة فى هذه الآية أم حسب الذين اجترحوا السيئات إلى آخرها حتى إن أحد رجال السلف الصالح قام يتهجد من الليل فقرأ حتى انتهى الى هذه الآية فأخذ يرددها ويبكى حتى طلع الفجر.

٤ ـ التنديد بالهوى والتحذير[3] من اتباعه فقد يفضي بالعبد الى ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فيصبح معبوده هواه لا الرب تعالى مولاه.

٥ ـ التحذير من ارتكاب سنن الضلال المفضي بالعبد إلى الضلال الذى لا هداية معه.

---

(١) على علم أي أضله الله مع ما عنده من العلم الذي لو خلع عن نفسه الكبر والعناد والميل إلى الهوى لاهتدى ونجا وسعد ولكن أو على علم من الله تعالى بأنه ليس أهلا للهداية كما في التفسير.

(٢) قرأ نافع تذكرون بتشديد الذال وقرأه حفص بتخفيفها الأولى على إدغام إحدى التائين في الذال فشددت والثانية على حذف إحدى التائين فخففت.

(٣) من الكلمات المأثورة في هذا قولهم ثلاث من المهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه.

وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا: أي قال منكرو البعث ما الحياة إلا هذه الحياة، وليس وراءها حياة أخرى.

نموت ونحيا : أي يموت بعضنا ويحيا بعضنا بأن يولدوا فيحيوا ويموتوا.

ومايهلكنا إلا الدهر : أي وما يميتنا إلاّ مرور الزمان علينا.

ومالهم بذلك من علم : أي وليس لهم أدنى علم على قولهم لامن وحى وكتاب إلهى ولا من عقل صحيح.

إن هم إلا يظنون : أي ماهم إلا يظنون فقط والظن لاقيمة له ولايبنى عليه حكم

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات: أي وإذا قرئت عليهم الأيات الدالة على البعث والجزاء الأخرى بوضوح.

ماكان حجتهم : أي لم تكن لهم من حجة إلا قولهم.

إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا : إلا قولهم احيوا لنا آباءنا الذين ماتوا وأتوا بهم إلينا.

إن كنتم صادقين : إن كنتم صادقين فيما تخبروننا به من البعث والجزاء.

قل الله يحييكم ثم يميتكم : أي قل لهم يارسولنا الله الذى يحييكم حين كنتم نطفاً ميته، ثم يميتكم.

ثم يجمعكم الى يوم القيامة: أي ثم بعد الموت يجمعكم الى يوم القيامة للحساب والجزاء.

لاريب فيه : أي يوم القيامة الذى لاريب ولاشك فى مجيئه فى وقته المحدد له.

ولكن أكثر الناس لايعلمون: أي لايعلمون لعدم تلقيهم العلم عن الوحى الإلهي لكفرهم بالرسل والكتب.

معنى الآيات :

تقدم فى الآيات بيان اعتقاد بعض المشركين فى استواء حال المؤمنين والكافرين يوم القيامة وأن الله تعالى أبطل ذلك الاعتقاد منكراً له عليهم ، وهنا حكى قول منكرى البعث بالكلية ليرد عليهم وفى ذلك دعوة لعامة الناس إلى الإيمان والعمل الصالح للإسعاد والكمال فى الحياتين ولله الحمـد والمنة فقال عز وجل : ﴿وقالوا ماهى إلا حياتنا[١] الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر[٢]﴾ أي وقال منكرو البعث والجزاء يوم القيامة ما هناك إلا حياتنا هذه التى نحياها وليس وراءها حياة أخرى ، إننا نموت ونحيا أي نموت نحن الأحياء ويحيا أبناؤنا من بعدنا وهكذا تستمر الحياة أبداً يموت الكبار ويحيا الصغار ، وما يهلكنا إلا الدهر أي وما يميتنا ويفنينا إلا مرور الزمان وطول الأعمار وهو إلحاد كامل وإنكار للخالق عز وجل وهو تناقض منهم لأنهم إذا سئلوا من خلقهم يقولون الله فينسبون إليه الخلق وهو أصعب ولاينسبوا إليه الإماته وهى أهون من الخلق فرد تعالى عليهم مذهبهم «الدهرى» بقوله : ﴿ومالهم بذلك من علم إن هم الا يظنون﴾ أي ليس[٣] لهم على معتقدهم هذا أدنى علم نقلياً كان ولا عقليا أي لم يتلقوه عن وحى أوحاه الله الى من شاء من عباده ولا عن عقل سليم راجح لاينقض حكمه كالواحد مع الواحد اثنان والأبيض خلاف الأسود وما إلى ذلك من القضايا العقلية التى لاترد فهؤلاء الدهريون ليس لهم شيء من ذلك مالهم إلا الظن والخرص وقضايا العقيدة لاتكون بالظن.والظن أكذب الحديث.

وقوله تعالىٰ ﴿وإذا تتلىٰ عليهم آياتنا بينات﴾ أي وإذا قرأ عليهم رسول الله ﷺ آيات القرآن الدالة علىٰ البعث والجزاء تدعـوهم إلىٰ الإيمـان به واعتقاده ﴿ما كان حجتهم[٤]﴾ أي لم تكن لهم من حجة يردُّون بها مادعوا إليه إلا قولهم[٥]: ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين أي أحيوا لنا آباءنا الذين ماتوا وأحضروهم عندنا ان كنتم صادقين فيما تخبروننا من البعث والجزاء . فقال تعالى فى رد هذه الشبهة وبيان للحق فى المسألة قل الله يحييكم ثم يميتكم ، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لاريب[٦] فيه ولكن أكثر الناس لايعلمون أي قل يارسولنا لهؤلاء الدهريين المنكرين للبعث الله يحييكم إذ كنتم نطفاً ميته

---

(١) هي ضمير القصة والشأن وجملة نموت ونحيا مبينة لجملة ما هي إلا حياتنا الدنيا أي ليس بعد هذا العالم عالم آخر فالحياة هي هذه لا غير.

(٢) روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال: (كان أهل الجاهلية يقولون ما يهلكنا إلا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فيسبون الدهر). قال الله تعالى (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار).

(٣) قال القرطبي كان المشركون أصنافاً منهم هؤلاء ومنهم من كان يثبت الصانع وينكر البعث ومنهم من يشك في البعث ولا يقطع بإنكاره.

(٤) فإن قيل لم سمى قولهم حجة وليس هو بحجة؟ قيل لأنهم أدلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم.

(٥) أي احيوا لنا الموتى نسألهم عن صدق ما تقولون.

(٦) جملة لا ريب فيه حال من يوم القيامة أي لا ريب في وجوده وكونه لا ريب فيه لأنه علة الحياة كلها فلولاه ما كانت هذه الحياة فمن هنا لا معنى للشك فيه بالكلية.

فأحياكم، ثم يميتكم بدون اختياركم فالقـادر على الإحياء والإماتة وفعلا هو يحيى ويميت لايحيل العقل أن يحيى من أحياهم ثم أماتهم وإنما لم يحيهم اليوم كما طلبتم لأنه لافائدة من إحيائهم بعد أن أحياهم ثم أماتهم هذا أولاً وثانيا إحياؤهم لكم اليوم يتنافى مع الحكمة العالية فى خلق هذه الحياة الدنيا والآخرة إذ خلقوا ليعملوا، ثم يجازوا بأعمالهم خيرها وشرها. ولهذا قال ثم يجمعكم أي أحياء فى يوم القيامة للحساب والجزاء وقوله لاريب فيه أي لاشك فى وقوعه ومجيئه إذ مجيئه حتمى لقيام الحياة الدنيا كلها عليه. ولكن أكثر الناس لايعلمون هـذا لأمرين الأول أنهم لايفكرون ولايتعقلون والثانى أنهم لتكذيبهم بالوحى الإلهى سدوا فى وجوههم طريق العلم الصحيح فهم لايعلمون، ولايعلمون حتى يؤمنوا بالوحى ويسمعوه ويتفهموه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تقرير البعث والجزاء.

٢ - الرد على الدهريين وهم الذين ينسبون الحياة والموت للدهر وينفون وجود الخالق عز وجل.

٣ - بيان أن الكفار لا دليل لهم عقلى ولا نقليّ على صحة الكفر عقيدة كان أو عملا.

٤ - عدم إحياء الله تعالى للمطالبين بحياة من مات حتى يؤمنوا لم يكن عن عجز بل لأنه يتنافى مع الحكمة التى دار عليها الكون كله.

٥ - بيان أن أكثر الناس لايعلمون وذلك لأنهم كذبوا بالوحى الإلهى فى الكتاب والسنة.

٦ - بيان انه لاعلم صحيح إلاَّ مِنْ طريق الوحى الإلهى.

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ (٣٠) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا

مُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

ولله ملك السموات والأرض : أي خلقا وملكاً وتصرفا يفعل مايشاء ويحكم مايريد.

يخسر المبطلون : أي ويوم تقوم الساعة التى أنكرها الكافرون يخسر أصحاب الباطل بصيرورتهم إلى النار.

وترى كل أمة جاثية : أي كل أمة ذات دين جاثية على ركبها تنتظر حكم الله فيها.

تدعى إلى كتابها : أي إلى كتاب أعمالها فهو الحكم فيها إن كان خيرا فخير وان كان شرا فشر.

اليوم تجزون ماكنتم تعملون: أي يقال لهم اليوم تجزون ما كنتم تعملون فى الدنيا من خيروشر.

هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق : أي ديوان الحفظة الذى دونوه من أعمال العقلاء من الناس شاهد عليكم بالحق.

إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون : أي نأمر بنسخ ما كنتم تعملون.

فيدخلهم ربهم فى رحمته : أي فيدخلهم فى جنته.

ذلك هو الفوز المبين : أي الفوز البيّن الظاهر وهو النجاة من النار ودخول الجنة.

أفلم تكن آياتى تتلى عليكم : أي يقال لهم ألم تأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم.

فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين : أي عن آيات الله فلم تؤمنوا بها وكنتم بذلك قوما كافرين.

إن وعد الله حق : أي بالبعث والجزاء العادل يوم القيامة حق ثابت.

إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين: أي ماكنا مستيقنين بالبعث وإنما كنا نظنه لاغير ولا نجزم به.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى تقرير عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ خلقا وايجاداً وملكاً وتصرفا ومن كان هذا وصفه من القدرة والعلم والحكمة لاينكر عليه بعث العباد بعد موتهم وجمعهم للحساب والجزاء. وقوله ويوم[1] تقوم الساعة التى ينكرها المنكرون يومئذ يخسر المبطلون يخسرون كل شيء حتى أنفسهم يخسرون منازلهم في الجنة يرثها عنهم المؤمنون ويرثون هم المؤمنين منازلهم فى النار ذلك هوالخسران المبين وقوله تعالى :

---

(١) ويوم تقوم الساعة: هو ظرف متعلق بيخسر قدم عليه للاهتمام به ويومئذ توكيد ليوم تقوم الساعة.

﴿وترى كل أمة جاثية﴾[1] أي وترى أيها الرسول يوم القيامة كل أهل دين وملة وقد جثوا على ركبهم خوفاً وذلاً مستوفزين للعمل بما يؤمرون به. وقوله ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ أي الذي أنزل على نبيها لتعمل بما جاء فيه من عقائد وشرائع ويقال لهم اليوم تجزون ما كنتم تعملون أي في الدنيا من خير وشر. فإذا حاولوا الإنكار قيل لهم: هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق، وهو كتاب الأعمال الذى دونته الحفظة وقوله ﴿إنا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون﴾ أي نأمر ملائكتنا بنسخ أعمالهم أي باثباتها وحفظها وهاهى ذى بين أيديكم ناطقة صارخة بما كنتم تعملون.

قال تعالى مفصلا للحكم الناتج عن شهادة الكتاب ﴿فأما الذين[2] آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي وتركوا الشرك والمعاصى فيدخلهم ربهم جزاء لهم فى رحمته وهي الجنة دار المتقين ذلك هو الفوز المبين أي إدخالها الجنة بعد إنجائهم من النار هو الفوز المبين إذا الفوز معناه، النجاة من المرهوب والظفر بالمرغوب المحبوب. هذا جزاء أهل الإيمان والتقوى وأما الذين كفروا وهم أهل الشرك والمعاصى فيقال لهم: ﴿أفلم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ أي ألـم تأتكـم رسـلي فلم تكن آياتى تتلى عليكم؟ بل كانت تتلى عليكم فاستكبرتم عنها فلم تتعرفوا إلى مافيها والى ماتدعوا إليه، وكنتم باستكباركم عنها قوما مجرمين[3] على أنفسكم إذا أفسدتموها بالشرك والمعاصى.

وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم إن وعد الله حق﴾ أي وعده تعالى بالبعث والجزاء حق لابد واقع والساعة آتية لاريب فيها أي جائية لا محالة ولا ريب فى وقوعها بحال من الأحوال قلتم ماندرى ما الساعة متجاهلين لها متعجبين من وقوعها. وقلتم إن نظن إلا مجرد ظن فقط وما نحن بمستيقنين[4] بمجيئها، وهذا بالنسبة إلى بعض الناس، وإلا فقد تقدم أن بعضهم كان ينكر البعث بالكلية وهذا ظاهر فى كثير من الناس الذين يؤمنون بالله وبلقائه وهم لايفترون من المعاصى ولايقصرون عن فعل الشر والفساد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر بعض مايقع يوم القيامة.

٢ ـ تقرير عقيدة كتابة أعمال العباد وتقديمها لهم يوم القيامة فى كتاب خاص.

---

(١) الأمة الجماعة العظيمة أمرها واحد يجمعهم دين والجثو البروك على الركب في استنفار وهي هيئة الخضوع.

(٢) فأما.. الخ هذه الفاء عاطفة لمُفصّل من الكلام على مُجمل منه وهو قوله تعالى وترى كل امة جاثية والبدأ بتفصيل حال المؤمنين تعجيلاً للمسرة لهم وتنويها بشأن الإيمان والعمل الصالح.

(٣) إقحام لفظ (قوما) للدلالة على ان الإجرام صار خلقاً لهم مخالطاً لنفوسهم حتى صار مما يمقتون به ولولا هذا لقال بل كنتم مجرمين، دون ذكر (قوم) والاستفهام في قوله أفلم تكن آياتي للتقرير والتوبيخ.

(٤) هذه الجملة تأكيد لجملة إن نظن إلا ظناً، والسين والتاء في بمستيقنين للمبالغة في عدم حصول الفعل.

٣ - تقرير أن الإيمان والعمل الصالح سبب الفوز، وأن الشرك والمعاصى سبب الخسران المبين.
٤ - الظن فى العقائد كالكفر بها، والعياذ بالله تعالى.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (٣٤) ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧)

شرح الكلمات :

وبدالهم سيئات ماعملوا : أي ظهر لهم فى يوم القيامة جزاء سيئات ماعملوه في الدنيا من الشرك والمعاصى.

وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون : أي نزل وأحاط بهم العذاب الذى كانوا يستهزئون به إذا ذكروا به وخوفوا منه في الدنيا.

وقيل اليوم ننساكم : أي وقال الله تعالى لهم اليوم ننساكم أي نترككم فى النار.

كما نسيتم لقاء يومكم هذا : أي مثل مانسيتم يومكم هذا فلم تعملوا له بما ينجى فيه وهو الإيمان والعمل الصالح، وترك الشرك والمعاصى.

ومأواكم النار : أي ومحل إقامتكم النار.

ومالكم من ناصرين : أي من ناصرين ينصرونكم بإخراجكم من النار.

ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله : أي ذلكم العذاب كان لكم بسبب كفركم واتخاذكم آيات الله هزواً

هزواً : أى شيئا مهزؤاً به.

وغرتكم الحياة الدنيا : أي طول العمر والتمتع بالشهوات والمستلذات.

ولاهم يستعتبون : أي لايؤذن لهم فى الاستعتاب ليعتبوا فيتوبوا.

فلله الحمد رب السموات ورب الأرض : أي فلله وحده الوصف بالجميل لإنجاز وعيده لأعدائه.

وله الكبرياء فى السموات والأرض : أي العظمة والحكم النافذ الناجز على من شاء.

وهو العزيز الحكيم : أي وهو العزيز فى انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبير خلقه.

معنى الآيات :

مازال السياق فى عرض مشاهد القيامة وبعض مايتم فيها من عظائم الأمور لعل السامعين لها يتعظون بها فقال تعالى : ﴿وبدالهم سيئات ماعملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾[1] أي وظهر للمشركين المكذبين بالبعث والجزاء ظهر لهم وشاهدوا العذاب الذى كانوا إذا ذكروا به أو خوفوا منه استهزأوا به وسخروا منه. وقد حل بهم ونزل بساحتهم وأحاط بهم وقال لهم الرب تعالى اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا أي نترككم فى عذاب النار كما تركتم العمل المنجى من هذا العذاب وهو الإيمان والعمل الصالح بعد التخلى عن الشرك والمعاصى. ومأواكم[2] النار أي هى مأواكم ودار إقامتكم ﴿ومالكم من ناصرين﴾ أي وليس لكم من ينصركم فيخلصكم من النار، وعلة هذا الحكم عليهم بيَّنها تعالىٰ بقوله ﴿ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً[3] وغرتكم الحياة الدنيا﴾ أي حكم عليكم بالعذاب والخذلان بسبب اتخاذكم آيات الله الحاملة للحجج والبراهين الدالة علىٰ وجود الله ووجوب توحيده وطاعته هزواً أي شيئا مهزواً به، ﴿وغرَّتكم الحياة الدنيا﴾ بزخرفها وزينتها، وطول اعماركم فيها فلم تؤمنوا ولم تعملوا صالحا ينجيكم من هذا العذاب الذى حاق بكم اليوم. قال تعالى ﴿فاليوم لايخرجون منها﴾ وترك مخاطبتهم إشعاراً لهم بأنهم لا كرامة لله لهم اليوم فلم يقل فاليوم لا تخرجون منها، بل عدل عنها إلىٰ قوله ﴿ فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون﴾ أي لم يطلب منهم أن يعتبوا ربهم بالتوبة إليه، إذ لاتوبة بعد الموت والرجوع إلىٰ الدنيا غير ممكن في حكم الله وقضائه. وهنا تعظم حسرتهم ويشتد العذاب عليهم ويعظم كربهم.

وقوله تعالى : ﴿فلله الحمد رب[4] السموات ورب الأرض رب العالمين﴾ أي رب كل شيء ومليكه حمد نفسه، وقصر الحمد عليه بعد أن أنجز ما أوعد به الكافرين، وذكر موجب الحمد وهو سلطانه القاهر فى السموات وفي الأرض، وقوله ﴿وله الكبرياء﴾[5] أي العظمة والسلطان ﴿فى

(١) من أنواع الاستهزاء ما روي أن العاص بن وائل قال لخباب بن الأرت وقد طالبه بدين له عليه لئن بعثت كما تقول لأوتين مالا وولدا في الأخرة فاقض منه دينك.

(٢) التعبير بالمأوى إشارة إلى تأييد الخلود فيها إذ المأوى مكان الإيواء والاستقرار ولا مكان غيره.

(٣) الهزء مصدر كالخلق أطلق أريد به اسم المفعول أي مهزؤاً به.

(٤) الفاء للتفريع فهذه الجملة (الحمد لله) والثناء عليه متفرع عما ورد في هذه السورة من مظاهر ربوبيته تعالى والطافه وإحسانه بإحقاق الحق وإبطال الباطل وعدله في قضائه بين عباده.

(٥) تقديم الجار والمجرور في قوله فلله الحمد، وقوله وله الكبرياء مؤذن بالحصر والاختصاص والكبرياء هي الكبر الحق العظيم وهما الكمال في الذات والكمال في الصفات والوجود.

السموات والأرض وهو العزيز﴾ الذى لايمانع ولايغالب، الشديد الانتقام، الحكيم الذى يضع كل شىء فى موضعه الحكيم فى تدبير خلقه ويتجلى ذلك فى إكرام أوليائه برحمتهم، وإهانة أعدائهم بتعذيبهم فى دار العذاب النار وبئس المصير.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ بيان أن الاستهزاء بآيات الله وشرائعه كفر موجب للعذاب.

٢ ـ تقرير قاعدة الجزاء من جنس العمل، وكما يدين الفتى يدان.

٣ ـ مشروعية الحمد عند الفراغ من أي عمل صالح أو مباح.